جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

خُطب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان أنَّ ألفاظها محفُوظه، ولم يُفقد منها شيء.

إعداد

د. فواز بن سالم القثامي

الأستاذ المشارك بقسم الشريعة بكلية الشريعة والأنظمة
بجامعة الطائف بالمملكة العربية السعودية

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ
ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي
الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

خُطب النبي صلى الله عليه وسلم وبيان أنَّ ألفاظها محفُوظه، ولم يُفقد منها شيء.

فواز بن سالم القثامي
قسم الشريعة ـ كلية الشريعة والأنظمة ـ جامعة الطائف ـ المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: dr. fawaz. salem٤١@gmail. com

ملخص البحث: ـ

هذا البحث يكون فيه الجواب _ بإذن الله تعالى _ عن شبهةٍ منتشرة بين كثير من الناس، هي: أنَّ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لم تُكتب، أو كُتبت وفُقدت، وأين هي إن كانت محفوظة؟ والجواب: أنَّ الخُطب محفوظة بحمد الله، سواء حُفظت في صورة خُطبة كاملة وهو قليل، أو حُفظ أجزاء منها، وهو كثير، أو رُويت على صورة أحاديث وهو أكثر، ثمَّ ذَكرت في البحث بعض الحِكم في التي من أجلها لم يُشرع حفظ الخُطب كاملة، وختمت البحث بتوجيه حول السؤال عن هذه المسألة وما يشببها، وكيف يكون، والله الموفق والهادي. وقد جعلت البحث في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة فصول، وخاتمة، وذيَّلت ذلك بقائمة لأهم المراجع، ثمَّ الفهرس العام. جاء في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، وبيان فائدته، والدراسات السابقة، والمنهج المتَّبع، ثمَّ خُطَّة البحث، ثمَّ الخاتمة، وأخيراً الفهارس.

الكلمات المفتاحية: أين خُطب النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل حُفظت خُطب النبي صلى الله عليه وسلم؟

The Sermons of the Prophet and the Assertion that Their Words Are Preserved, and Nothing Has Been Lost

Fawaz bin Salem Al-Quthami
Department of Sharia at the College of Sharia and Regulations Taif University, Kingdom of Saudi Arabia .

Email: - dr. fawaz. salem٤١@gmail. com

Abstract :

This research aims to provide an answer, with God's permission, to a common doubt among many people that the sermons of the Prophet were not written down, or they were written but have been lost. The question is; Where are they, if they are preserved? Answer: By the grace of God, the sermons are preserved, whether they have been kept in the form of complete sermons (which is rare), or parts of them have been preserved (which is more common), or they have been transmitted in the form of hadiths (which is the most prevalent). The research also discusses some reasons why it was not mandated to preserve complete sermons and concludes with guidance on how to approach this matter and similar issues. May God grant success and guidance. The research is divided into an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion, followed by a list of the most important references and a general index.

In the introduction, the importance of the topic and the reason for its selection are discussed, along with its benefits, previous studies, the methodology followed, the research plan, the conclusion, and the indices.

Keywords: Where are the sermons of the Prophet? Are the sermons of the Prophet preserved?

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على رُسُله الكتاب، وآتاهم الحكمة وفصل الخطاب، فكانوا أفصح من دعا، وأصدق من سئل فأجاب، وأتقى من عَبَد، وأَسرع من آب وأناب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الديان، البديع المنان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيِّدِ من نطق بلسان، من إنسٍ وجان، امتنَّ عليه ربه بالفصاحة والبيان، وأعطاه جوامع الكلم، فكان كلامه قصداً، بليغاً، جامعاً، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نقلوا لنا ما سمعوا، فأوعبوا وما تركوا، وأحسنوا وما بخسوا، فرضي الله عنهم، وعن من سار على طريقهم، وصنع صنيعهم، فأحيا ما أحيوا، وروى ما نقلوا، وعمل به، ولم يتجاوز ذلك، وسلم تسليماً كثيراً مزيداً.

أمَّا بعد:

فهذا بحث يكون الكلام فيه _ بتوفيق الله تعالى _ عن جواب شبهةٍ انتشرت في عددٍ من وسائل الإعلام، والتواصل الاجتماعي، حاصلها أسئلةٌ عن خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، أين هي؟ ولماذا لم تكتب؟ وما يتبع ذلك ممَّا سيجده القارئ في ثنايا البحث بعون الله.

وقد شرعت في الردِّ على هذه الشبة، مستعيناً بالله، متوكلاً عليه، فإيَّاه نعبد وإيَّاه نستعين، وعليه التكلان، ومنه التسديد.

وجواب الشبهات، ودفع الإشكالات عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، هو أحد أبواب التأليف التي سلكها أهل العلم قديماً وحديثاً، والله الموفق.

□

أهمية البحث:

تظهر أهميَّة البحث في النقاط الآتية:

١- وجود من يشكِّك في حفظ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلها لأمَّته.

٢- كون الخُطب جزءاً من الحديث والوحي، والقول بفقدِها، أو عدم كتابتها يعود على الدين بالنقص والضياع.

٣ - الزعم بأنَّ الخُطب أجلُّ وأعظم من الحديث المتواتر لأنَّه يحضرها عامَّة الصحابة رضي الله عنهم.

أسباب البحث:

إضافة إلى ما سبق في أهمية البحث، فإنَّ من أسباب اختياره:

١- وجوب الدفاع عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أحاديثه، وأيامه، وسيرته، ومن ذلك خُطبه، وهذا من حقِّ العلم على أهله.

٢- كثرة من يتحدَّث بهذه الشبهة في وسائل التواصل الحديثة، وعامَّة من يسمعها عوامٌ لا علم لهم بها، أو صغارٌ لا يدركون حقائق الأمور، وهذه الشبهات إذا استقرَّت في نفوسهم، سهُل بعدها التشكيك في نقل الأحاديث جملة، بله ردّها والطعن فيها.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

أولاً: هل كُتبت خُطب النبي صلى الله عليه وسلم؟

ثانياً: هل بقي شيء من الدين لم يحفظ ويكتب؟

ثالثا: هل توجد علاقة بين الأحاديث والخُطب؟

منهجية البحث

ومنهجي في بحثي هذا وِفق الأمور الآتية:

١ - الاستماع لأكبر عددٍ من المقاطع التي تُثير هذه الشبهة، وتنشرها، والاطلاع على وجه الإشكال لديهم إن وجد.

٢ -الاطِّلاع على ما تيَّسر من الردود على ذلك، سواء المسموع، أو المشاهد، أو المكتوب.

٣ - تقسيم البحث وترتيبه، بحيث يكون البحث جامعاً لكلِّ جهات الشبهة، ويكون الردُّ وافياً بالمقصود.

٤ - عزو الآيات والأحاديث الواردة في البحث، وذلك بعزو الآيات إلى أسماء السور، ورقم الآية، وعزو الأحاديث إلى من أخرجها، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما كان العزو لهما أو لأحدهما فقط، إلَّا إذا دعت الحاجة للزيادة، وإذا كان الحديث في غيرهما، خرَّجته من مصادره، وحكمت عليه بناءً على قواعد أهل الحديث.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في المؤلفات، وفي محركات البحث على الانترنت، وجدت:

١ - كتاباً بعنونا: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم، ٥٧٤ خطبة من كنوز الدرر وجوامع الكلم، جمعها وشرحها: محمد خليل الخطيب طبع في دار الفضيلة للنشر والتوزيع، وكتبت مقدمته عام: ١٣٧٣هـ. قال في مقدمته: لم أجد مَنْ تعرض لجمع خطبه الجامعة المفيدة، فجمعتُها في سنين عديدة، وقد أذكر فيها أحاديثَ توفيةً للمقام، ووصايا نُميتْ إليه أو إلى بعض أصحابه الكرام.

٢ – بحثاً للأستاذ الدكتور: عبدالحكيم الأنيس، وهو مقالٌ اعتنى فيه صاحبه بسرد أسماء المؤلفات التي جمعت خطب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال في المقدمة:

اعتنى العلماء بهذا اللون من التأليف الموضوعي النافع، وأذكر هنا ما وقفتُ عليه من الكتب المفردة في ذلك(١).

قلت: وقد جمع الباحث فيه ما يزيد على ثلاثين مؤلفاً وكتاباً وبحثاً اعتنت بجمع خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، ما بين جمع أكبر عددٍ من الخُطب، إلى دراسة خُطبةٍ واحدةٍ كخُطبة حجَّة الوداع، وبعضها دراسات حديثة قامت على خطب النبي صلى الله عليه وسلم.

خطة البحث

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

ذكرت في المقدمة أهمية البحث، وسببه، ومنهجيته، وإشكاليته، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: في تعريف الخطبة لغةً، واصطلاحاً.

الفصل الثاني: في بيان خطأ من ذكر أنَّ عدد الخطب يبلغ الخمسمئة وعشرين خُطبة، وذكر الأسباب الموجبة قِلَّةَ عدد الخُطب.

الفصل الثالث: في إثبات أنَّ ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، في خُطبه محفوظٌ، ومبثوثٌ في الأمة.

الفصل الرابع: في ذكر الحكمة من عدم الأمر بكتابة الخُطب، وحفظها كاملة بنصِّها، وفيه بيان عدم قصد ذلك.

الخاتمة.

---

(١) مقال بعنوان [الكتب المؤلفة في الخطب النبوية] منشور على شبكة الإنترنت بتأريخ: ١٤٣٧/٦/٧ هـ الموافق: ٢٠١٦/٣/١٦م. الموقع: https: //www. alukah. net/culture/٠/١٠٠٣٦٦

تمهيد

إنَّ من الأمور الحادثة في هذه الأزمان المتأخرة تكلُّف السؤال عمَّا لم يسأل عنه السلف الماضون ممَّا كان في زمنهم، فلم يلقوا له بالاً، فخاض اليوم فيه من خاض فَلقِي وَبالاً، فترى كثيراً من أهل العصر يكثرون الأسئلة والتساؤلات حول دين الله تعالى، وحول الكتاب والسنة، وأحكام الشريعة المستقرة، ولو كانت هذه الأسئلة لإشكالٍ أشْكل عليهم فسألوا عنه ليرفعوا الإشكال، أو ليعلموا الحال، لهان الخطب، وإنمَّا جرت هذه الأسئلة على ألسنة قوم لا علاقة بينهم وبين العلم، ولا عناية لهم بمقاصد الشريعة، وإنَّما سألوا عنها اعتباطاً.

وإذا تكلم من لا علم له أَشكل على نفسه، وساء فهمه، وشوَّش على غيره، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء: ٨٣]. فأوَّل الآية تنبيهٌ، وأوسطها تعليمٌ، وآخرها تحذيرٌ، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم منه فكِلُوه إلى عالمه [(١)].

فمن وجد أمراً ممَّا يُشكل عليه، أو قولاً لم يفهمه، فليردَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من ربه عز وجل من كتابٍ وحكمة، وإلى أولي الأمر من أهل العلم، فهم أهل الاجتهاد وهم أهل الاستنباط، وهم أولى الناس بفهم المُراد، وأَحرى بالصواب، فقد قال الحقُّ سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، [الأنبياء: ٧]. فإنْ عمِل الإنسان ما أمره ربُّه به فقد أصاب الفعل، ووجد الجواب العدل، ولا ينبغي له أن يتكلَّف بنفسه ما لا علم له به، ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ)، برقم (٦٧٤١).

أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقد قال السلف: من أخطأ لا أدري أصيبت مقاتله[١]، فهؤلاء المنتحرون على عتبات العلم ما حجتهم عند الله، فكتاب الله بين أظهرهم، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ملء السمع والبصر، وورثة الأنبياء في كل نادٍ يدعون إلى الدين ويعلمون الناس ما لم يعلموا!

فمن كان لديه سؤال، أو عنده إشكال، فليرفع صوته بالسؤال، ثمَّ ليسكتْ ولينتظر الجواب، وسيأتيه الجواب الحق، فإنَّ العلم في الأمَّة تامٌ لا نقص فيه، ظاهرٌ لا يخفى مجموعة على مجموع الأمَّة، والحمد لله.

وقد خرج في هذه الأزمان المتأخرة أقوامٌ يسألون عن مسائل لا نفع فيها، ولا ثمرة لها، فتراهم يسألون عن أشياء من الأغلوطات، قال عيسى بن يونس: والأغلوطات: ما لا يحتاج إليه، من كيف، وكيف[٢]. وقال أبو داود _ صاحب السنن _: حدثنا أحمد بن جناب أبو الوليد، قال: سألت عيسى بن يونس عن قول الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، فإنَّ حور العين يَمُتْنَ؟ وذا كان بعضُ من يتكلمُ يَسألُ عن هذا. فغضب عيسى من ذاك غضباً شديداً، فقال: لقد بعثرنا الحديث بعثرة ما بعثرها أحد، ما بقي كوفي، ولا بصري، ولا مدني، ولا مكي، ولا حجازي، ولا شامي، ولا جزري،

(١) عند الخطيب في الفقيه والمتفقه _ دار ابن الجوزي عام (١٤١٧هـ) _ (٢/ ٥٢): باب ما جاء في الإحجام عن الجواب إذا خَفي على المسئول وجه الصواب. وعند ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله _ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١ (١٤١٤هـ _ ١٩٩٤م) _ (٢/ ٨٢٦): باب ما يلزم العالم إذا سئل عمَّا لا يَدرِيه من وُجوه العلم.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، دار الراي (١٤١٥هـ)، برقم (١١).

إلَّا وقد لقيناه، وسمعنا منه، ما سمعنا أحداً قط يسأل عن مثل هذا[١]. وقديماً قالوا: من تكلم في غير فنِّه أتى بالعجائب[٢].

ومن ذلك ما نحن بصدده من السؤال عن خطب النبي صلى الله عليه وسلم، أين هي؟ ولماذا لم تنقل لنا؟ هل فقدت؟ ولماذا لم تجمع في كتاب واحد؟ ونحو ذلك من الأسئلة.

وقد ذكر هؤلاء أنَّ خطب النبي صلى الله عليه وسلم، بلغت ما يزيد على خمسمئة وعشرين خُطبة، وذلك بحسابهم لِعدِّ الأسابيع خلال السنوات التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة، وقد قضى عشر سنوات في كل سنةٍ اثنان وخمسون أسبوعاً أو تزيد.

فهل ما ذكروه حقٌّ؟ وهل خفى هذا على سَلَف الأمَّة وخَلَفها ألف سنةٍ وتزيد؟

والجواب ظاهرٌ بحمد الله تعالى، ودين الله الذي أنزله محفوظٌ، كتاباً وسنةً، ومنه الخُطب، وما قال النبي صلى الله عليه وسلم، شيئاً ممَّا أوحى الله تعالى إليه إلَّا بلَّغه أمَّته، حتى إذا جاء النصر والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأذعن الناس لهذا الدين، ويئس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب، جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، الناس في البلد الحرام، فقام فيهم خطيباً في حجة الوداع، وقال: اللهم هل بلَّغت، اللهم فاشهد، اللهم هل بلَّغت، اللهم هل بلَّغت، اللهم هل بلَّغت[٣].

قال هذا في أعظم مشهدٍ للمسلمين وأشرفه، في أعظم مكان وأطهره، ثمَّ أعاد عليه الصلاة والسلام، هذا الكلام في آخر أيَّامه في هذه الحياة الدنيا، قبل أن تفيض نفسه

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، دار الراي (١٤١٥هـ)، برقم (١٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر_ دار طيبة، ط ١ (١٤٢٧هـ) _ (٣/ ٥٨٤)، قال الحافظ ابن حجر: وإذا تكلَّم المرء في غير فنِّه أتى بهذه العجائب.

(٣) صحيح البخاري _ مكنز _برقم (١٧٣٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وعن أبيه.

الطاهرة صلى الله عليه وسلم، ويختار الملأ الأعلى، فقد جاء من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنه، وعن أبيه، قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الستر ورأسه معصوبٌ في مرضه الذى مات فيه، فقال: اللهم هل بلَّغت. ثلاث مرات(١).

قالها صلى الله عليه وسلم، في أكبر جمعٍ للأمة، فبلغت الأنام على الدوام، وقالها في آخر أيامه، فاستغرقت الأيام على التمام، مقولةٌ اختار لها صلى الله عليه وسلم، المكان والزمان، حتى لا تبقى لنفسٍ حجة، وهذا دالٌ على أهمية هذه الشهادة، فكيف يجيز مسلمٌ لنفسه أن يردَّ هذه الشهادة؟ ويقول بضياع الخُطب، المفضي إلى نقص الدين، أو عدم حفظها وكتابتها؟ اللهم لا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. اللهم آمنا بما قلت، ورضينا بما رضيت لنا. وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا وسيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

(١) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٤٧٩).

الفصل الأول: في تعريف الخُطبة، لغةً واصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف الخطبة في اللغة:

قال الخليل: والخِطاب: مراجعة الكلام. والخطبة: مصدر الخطيب... وجمع الخطيب خطباء[(١)].

قال ابن فارس: (خطب) الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خطاباً، والخُطبة من ذلك [(٢)].

وقال _ أيضاً _: وأمَّا الخُطبة، فاشتقاقها من المخاطبة، ولا تكون المخاطبة إلَّا بالكلام بين المخاطبين، وكذلك خطبة النكاح، وقال قوم: إنَّما سمِّيت الخطبة، لأنَّهم كانوا لا يجعلونها إلَّا في الخَطْبِ والأمر العظيم، فلهذا سمِّيت خطبة[(٣)].

قال الفيروزآبادي: وخطب الخاطب على المنبر خَطابة، بالفتح، وخُطبة، بالضم، وذلك الكلام: خطبة أيضاً، أو هي: الكلام المنثور المسجع ونحوه[(٤)].

---

(١) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي _ دار إحياء التراث العربي _ (٤/ ٢٢٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة _ دار الجيل، ط ١ (١٤١١هـ) _ (٢/ ١٩٨) مادة (خطب).

(٣) حلية الفقهاء _الشركة المتحدة للتوزيع، ط ١ (١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م) _ (ص: ٨٧). وفيه زيادة: والمنبر، من قولك: نبر: إذا علا صوته، وكذلك الخاطب يعلو صوته، ومنبر، مفعل منه، ولذلك سمِّيت الهمزة نبرة، لأنَّ من نبر الحرف رفع صوته.

(٤) القاموس المحيط (٨١/١).

المطلب الثاني: تعريف الخطبة في الاصطلاح:

قال النووي: الخُطبة بضم الخاء، وهو الكلام المؤلَّف المتضمن وعظاً وإبلاغاً[١].

وقال الجرجاني: الخطابة هو قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ[٢]. (تم_)

وقال الكاساني: والخُطبة في المتعارف اسم لما يشتمل على تحميد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والدعاء للمسلمين، والوعظ والتذكير لهم[٣].

قلت: ويمكن تعريف الخُطبة بأنَّها: كلامٌ مخصوصٌ، في زمنٍ مخصوص، وهيئةٍ مخصوصة، لغرضٍ مخصوص.

كلام: لأنَّ حقيقة الخُطبة كلام بين متكلِّم وسامع أو سامِعِين.

مخصوص: من ذكر الله تعالى، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموافقة الشرع فعلاً وتركاً.

في زمن مخصوص: وقت خطبة الجمعة، أو صلاة العيدين، أو الكسوف.

وهيئة مخصوصة: ككونها خطبتين، ويجلس بينهما، ونحو ذلك من شروط، أو آداب الخطبة.

لغرض مخصوص: وهو تبليغ الناس الدين، وتعليمهم الأحكام، ووعظهم، ودعوتهم للعمل بالدين. والله أعلم.

---

(١) تحرير ألفاظ التنبيه _ دار القلم، دمشق، ط ١ (١٤٠٨هـ) _ (ص: ٨٤).

(٢) التعريفات للجرجاني _ دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١ (١٤٠٥هـ) _ (ص: ١٣٤) برقم (٦٦٠).

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع _ دار الكتب العلمية، ط ٢ (١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م) _ (٣/ ٣١).

الفصل الثاني: في ذكر خطأ من ذكر أنَّ عدد الخطب يبلغ الخمسمئة وعشرين خُطبة، وذكر الأسباب الموجبة قِلَّة العدد.

أولاً: ذكر خطأ من ذكر أنَّ عدد الخطب يبلغ الخمسمئة وعشرين خُطبة.

ذهب الكثير ممَّن ينشر هذه الشبهة إلى أنَّ عدد خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، بلغت خمسمئة وعشرين خُطبة، ذلك أنَّ مدَّة بقاء النبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة عشر سنوات، وكلَّ سنةٍ تحوي اثنين وخمسين جمعة، فينتج عن هذا أنَّ عدد الخُطب خمسمئة وعشرين خُطبة(١).

وهذ الرقم غير صحيح، ذلك أنَّ هذا العادُّ إنَّما حَسب الأعوام بِحساب التأريخ الشمسي، وهو يزيد في عدد أيَّامه على الأعوام المبنية على الأشهر القمرية التي جاءت بها الشريعة، وعمل بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، فالعام الشمسي [٣٦٥ يوماً]، بخلاف القمري الذي عدد أيامه [٣٥٤ يوماً]. وهذا يُوجِد فرقاً في عدد الجُمَع، فبينما يكون عددها في الأعوام الشمسية أكثر من [٥٢٠ جمعة]، يكون في الأعوام القمرية [٥٠٥ جمعة]، وعليه فالفرق بين الرقمين: ١٥ جمعة.

ولتمام الفائدة هنا نقول: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، قدِم المدينةَ مهاجراً في الثاني عشر من شهر ربيع أول، وحساب التأريخ كان من شهر الله المحرم، ومعنى هذا أنَّه زِيد في الحساب شهران ونصف الشهر: شهر محرم، وشهر صفر، ونصف شهر

---

(١) وقال بعضهم: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، مكث في المدينة عشر سنين، وفي كلِّ سنة اثنان وخمسون جمعة، وعليه يكون مجموع الخطب (٥٢٠ خُطبة)، وقد حسب السنوات بالشمسي (التي تُسمَّى بالميلادي)، والنبي صلى الله عليه وسلم، كان يحسب بالقمر (التأريخ الذي يُقال له: الهجري نسبةً لهجرته صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة) وبكل حال الفارق بين الحسابين في عدد الجُمع يبلغ خمس عشرة خطبة.

ربيع أول، ويجاب عن هذا بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، توفي في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، فيكون هذا بذاك، وعليه يكون عدد السنوات صحيحٌ.

لكن يُقال عند التدقيق: في الشهر الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم، لم يمكن صلاة الجمعة إلَّا مرتين، بينما في شهر وفاته صلى الله عليه وسلم، لم يصلّ الجمعة سوى مرة واحدة، فهذه خمس جمع في شهرين، في أوسع الاحتمالات، والشهران فيهما ثمان خُطب أو تسع[1]، والخطب في ذلك يسير.

ثانياً: في ذكر الأسباب الموجبة لقِلَّة عدد الخُطب.

هنالك أسباب حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، تُوجب قلَّة هذا العدد، بحيث يقطع الناظر إليها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، لم يخطب هذا القدر من الخُطب، ولم تبلغ خُطبه هذا العدد، وهذه الأسباب كما يأتي:

السبب الأول: وجود خلافٍ في الوقت الذي فرضت صلاة الجمعة، وفي ذلك قولان مشهوران:

القول الأول: أنَّها فرضت في مكة قبل الهجرة.

القول الثاني: أنَّها فرضت في المدينة.

في فتح الباري:... وخرَّج ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، خَطبهم، فقال في خطبته: إنَّ الله فرض عليكم الجمعة

---

(١) لأنَّه صلى الله عليه وسلم، قدم المدينة في الاثنين: ١٢ / ٣ / ١ للهجرة، وبقي له من الشهر _ شهر ربيع الأول _ خُطبتان:

الأولى: يوم ١٦، والثانية: يوم ٢٣، والثالثة: يوم ٣٠ إذا تمَّ الشهرُ. بخلاف شهر الوفاة، فإنَّه صلى الله عليه وسلم، لم يخطب فيه سوى خُطبتين، فقد توفي صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين: ١٢ / ٣ / ١ للهجرة، الأولى الموافقة ليوم الجمعة: ١/٣/٢، والثانية يوم الجمعة: ١/٣/٩ للهجرة.

في مقامي هذا، في يومي هذا، في شهري هذا، من عامي هذا الى يوم القيامة... الحديث. وفي إسناده ضعفٌ واضطرابٌ واختلافٌ[1]...

وفيه دليلٌ على أنَّ الجمعة إنَّما فرضت بالمدينة؛ لأنَّ جابراً رضي الله عنه، إنَّما صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد خطبته بالمدينة، وهذا قول جمهور العلماء.

ويدلُّ عليه _ أيضاً: أنَّ سورة الجمعة مدنيةٌ، وأنَّه لم يثبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يصلي الجمعة بمكة قبل هجرته.

ونصَّ الإمام أحمد على أنَّ أوَّل جمعةٍ جمعت في الإسلام هي التي جمعت بالمدينة مع مصعب ابن عميرٍ رضي الله عنه. وكذا قال عطاء والأوزاعي وغيرهما.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لا بن رجب الحنبلي _ مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط ١ (١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م) _ هكذا قال ابن رجب _ رحمه الله _ عن الحديث: في إسناده ضعف واضطراب واختلاف.

قلت: الحديث رواه ابن ماجه برقم (١١٣٤)، من حديث: الوليد بن بكير، عن عبد الله بن محمد العدوى، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا... الحديث.

وفي سنده: عبدالله بن محمد العدوي، قال عنه البخاري: عبد الله بن محمد العدوي، عن علي بن زيد، روى عنه الوليد بن بكير، منكر الحديث. التاريخ الكبير للبخاري (٥/ ١٩٠) ترجمة رقم (٥٩٨). وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيفٌ لضعف علي بن زيد بن جدعان، وعبد الله بن محمد العدوي. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه _ دار العربية بيروت، ط ٢ (١٤٠٣هـ) _ (١/ ١٢٩).

ورواه البيهقي _ من هذا الوجه _ وقال: عبد الله بن محمد هو العدوى، منكر الحديث، لا يُتابع في حديثه، قاله محمد بن إسمعيل البخاري. السنن الكبير _ مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية، ط١ (١٤٣٢هـ) _ (٣/ ١٧١). والحديث تكلَّم عن غير واحد من أهل العلم، وللمزيد ينظر: التلخيص الحبير(١٣٣/٢) برقم (٦٢٠)، ولسان الميزان (١٨٣/٨) وكلاهما للحافظ ابن حجر، وإرواء الغليل للألباني _ المكتب الإسلامي، ط ٢ (١٤٠٥هـ) _ (٣/ ٥١).

وزعم طائفةٌ من الفقهاء: أنَّ الجمعة فرضت بمكة قبل الهجرة، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يصليها بمكة قبل أن يهاجر... [١].

السبب الثاني: هنالك عددٌ كبيرٌ من الجُمَع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة، ولم يُقم صلاة الجمعة فيها، وذلك لعارض سفره صلى الله عليه وسلم، للغزو، فقد شارك بنفسه صلى الله عليه وسلم، خلال هذه المدَّة في غزوات كثيرات، كثيرٌ منها قاربت مدَّته الشهر بل قد تصل إلى أكثر من ذلك كما في غزوة تبوك، فقد كانت أزيدَ من خمسين يوماً[٢]، وكما حدث في فتح مكة، وحصار الطائف، ثمَّ رجوعه صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة في مدَّة ثلاثة أشهر[٣]، وغزوة بني المصطلق _ قِبل نجد _ وهي التي تعرف بغزوة المريسيع[٤]، خرج لها رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) فتح الباري لابن رجب_ مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط ١ (١٤١٧هـ _ ١٩٩٦م) _ (٨/ ٦١)، وقد تكلَّم رحمه الله بأكثر من ذلك.

(٢) قال المقريزي: ثمَّ كانت غزوة تبوك... في غُرَّة رجب... إلى أن قال: فقدم صلى الله عليه وسلم، المدينة في رمضان. انظر إمتاع الأسماع _ دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤٢٠ هـ _ ١٩٩٩ م) _ (٢/ ٤٧) و (٢/ ٧٩).

(٣) قال ابن كثير: ثمَّ قاتل أهل مكَّة في رمضان سنة ثمان، وقاتل هوازن، وحاصر أهل الطائف في شوال، وبعض ذي الحجة سنة ثمان كما تقدَّم تفصيله. السيرة النبوية _ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع لبنان (١٣٩٥هـ _ ١٩٧٦م) _ (٤/٤٣١).

(٤) المُرَيسيع بالضم، ثمَّ الفتح وياء ساكنة، ثمَّ سين مهملة مكسورة وياء أخرى، وآخره عين مهملةٌ في الأَشْهَر، ورواه بعضهم: بالغين معجمة. كأنَّه _ يعني: المُريسيع _ تصغير المرسوع، وهو الذي انسلقت عينه من السهر، وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل. معجم البلدان _ دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤١٠هـ) _ برقم (١١١٨٠)، وفي جمهرة اللغة _ دار العلم ط ١ (١٩٨٧م) _ (٢/ ٧١٤): ورسعت أعضاء الرجل، إذا فسدت واسترخت. وقال الصاغاني: ورسعت أعضاؤه: فسدت، وليس الترسيع مقصوراً على فساد العين فقط. التكملة والذيل والصلة للصغاني _ ط (١٩٧٠م – ١٩٧٩ م) _ (٤/ ٢٦٠). وفي القاموس المحيط _ مؤسسة الرسالة، ط ٨ =

يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان[١]، وكان رجوعه صلى الله عليه وسلم، منها في رمضان[٢]، وتفاصيل ذلك في كتب الحديث والسيرة.

وقد قال الحافظ العراقي في ألفيته في السيرة النبوية[٣]:

ذكر عدد مغازيه صلى الله عليه وسلم:

سبعا وعشرين اعددنّ الغزوا أوّلها ودّان وهي الأبوا

فهذه جُمع كثيرة في أزمنةٍ مديدة، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة، ولم يصلّ فيها جمعة، ولم يخطب فيها خُطبة.

=

(١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م) _ (ص: ٧٢١): المريسيع، مصغَّر مرسوع: بئر، أو ماء لخزاعة على يوم من الفرع، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق، وفيها سقط عقد عائشة رضي الله عنها، عن أبيها، ونزلت آية التيمم.

(١) إمتاع الأسماع _ دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤٢٠ هـ _ ١٩٩٩ م) _ (١/ ٢٠٣).

(٢) أنظر: إنارة الدُّجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم، لشيخ شيوخنا، الشيخ: حسن محمد المشَّاط المالكي _ دار المنهاج، ط ٢ (١٤٢٦ هـ) _ (ص: ٤٨٢). وقال الدكتور أكرم العمري: وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة، خرج الرسول صلى الله عليه وسلم، بجيشه من المدينة نحو ديار بني المصطلق، وهذا هو الراجح، وهو قول موسى بن عقبة الصحيح، حكاه عن الزهري، وعن عروة، وتابعه أبو معشر السنوي، والواقدي، وابن سعد، ومن المتأخرين ابن القيم، والذهبي، وأمَّا ابن إسحاق فذهب إلى أنَّها في شعبان سنة ست، ويعارض ذلك ما في صحيحي البخاري ومسلم من اشتراك سعد بن معاذ رضي الله عنه، في غزوة بني المصطلق مع استشهاده في غزوة بني قريظة عقب الخندق مباشرة، فلا يمكن أن تكون غزوة بني المصطلق إلَّا قبل الخندق. السيرة النبوية الصحيحة _ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٦ (١٤١٥هـ _ ١٩٩٤م) _ (٢/ ٤٠٦).

(٣) ألفية السيرة النبوية: نظم الدرر السنيَّة الزكيَّة _ دار المنهاج، ط ١ (١٤٢٦هـ) _ (ص: ١٠٣).

السبب الثالث: سفره صلى الله عليه وسلم، للحج والعمرة، فقد اعتمر صلى الله عليه وسلم، أربع عمرات، وحج حجَّة واحدة، وهي التي تعرف بحجة الوادع، وبقي في هذه الحجة بمكة قريباً من عشرين يوماً سوى أيام سفره ذهاباً وإياباً.

وهذا غير ما كان يفعله صلى الله عليه وسلم، أحياناً من الخروج إلى التلاع[(١)]، فقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، أنَّها سُئلت: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم، يَبْدُو؟ قالت: نعم، كان يبدو إلى هذه التلاع، فأراد البداوة مرة، فأرسل إلى نعم من إبل الصدقة، فأعطاني منها ناقة محرمة، ثمَّ قال: يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل والرفق، فإنَّ الرفق لم يكُ في شيء قط إلَّا زانه، ولم ينزع من شيء قط إلَّا شانه.

وفي رواية مسلم بيان السبب الذي قيل من أجله الحديث، وهو أنَّ عائشة رضي الله عنها، ركبت بعيراً، فكان فيه صعوبة، فجعلت تُرِدّده، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك بالرفق[(٢)].

وليس من عادته صلى الله عليه وسلم، صلاة الجمعة في السفر.

ثمَّ اعلم أنَّه كان من عادته صلى الله عليه وسلم، أن يسافر يوم الخميس، وكان

---

(١) التّلاع: مَسايِل الماء من عُلْوٍ إلى سُفْل واحِدُها تَلْعَة. النهاية في غريب الأثر (٥٢٧/١)، مادة (تلع).

(٢) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٥٩٤)، والمسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (٢٥٣٨٦).

يحب أن يخرج يوم الخميس[١]، وهذا يدلُّ على أنَّ سفره صلى الله عليه وسلم، ولو كان أقلَّ من أسبوع فهو غالباً ما تذهب معه الجمعة لأنَّه إذا سافر يوم الخميس فقد سقطت الجمعة ولو كان سفره قريباً، ولا يعقل أن يسافر يوم الخميس ويدرك الجمعة.

وعند حساب ذلك كلِّه _ أعني: غزواته صلى الله عليه وسلم، وحجه وعمراته، وأسفاره ونحو ذلك _ نجد أنَّ جزءاً ليس بالقليل من هذا العدد من الخُطب التي ذكروها قد ذهب، فلا يُسلَّم لهم هذا العدد.

السبب الرابع: ثبت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كان يكرِّر بعض الخُطب، أو يكرِّر كثيراً من مضمونها.

مثال الأول: حديث أمِّ هشام بنت الحارث رضي الله عنها، قالت: وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلَّا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقرؤها كلَّ يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس[٢].

ومثال الثاني: حديث أنس رضي الله عنه،: قلَّما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلَّا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له[٣].

وهذا التكرار معقول في الخُطب ولو لم ينقل لنا ذِكْره، وذلك لأنَّه واقعٌ في عموم كلامه صلى الله عليه وسلم، نصَّاً، فالخُطب عن الصلاة والزكاة والصيام، والبر والآداب وكثير من الأحكام، كلُّ ذلك لا بُدَّ أن يتكرَّر في كلِّ عام، وكان من هديه صلى الله

---

(١) رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٢٩٥٠)، من حديث معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحبُّ أن يخرج يوم الخميس.

(٢) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٨٧٣)، وطرفه: عن أمِّ هشام بنت حارثة بن النعمان، قالت: لقد كان تنورنا وتنُّور رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحداً سنتين، أو سنة وبعض سنة، وما أخذت (ق والقرآن المجيد)... الحديث.

(٣) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٢٥٨٩).

عليه وسلم، تكرار ما يراه مناسباً لحال الخُطبة، فعند الإمام أحمد من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطبة إلَّا نهانا عن المثلة، وأمرنا بالصدقة(١).

والتكرار كان من هديه صلى الله عليه وسلم، عن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنَّه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّم عليهم سلَّم عليهم ثلاثاً(٢).

وهذا التكرار مؤيّد لما نقول من وجهين:

الأول: أنَّه _ أي: التكرار _ دالٌّ على هديه صلى الله عليه وسلم، وطريقته في الكلام والاستئذان والتعليم، والخُطب داخلةٌ في عموم كلامه، ومعنى هذا أنَّه صلى الله عليه وسلم، كان يذكر الأحاديث ذوات العدد اليسير في الخطبة ثمَّ يكرِّرها أو بعضها لتحفظ عنه، أو تفهم، وكانت خُطبه قصيرة كما هو ثابتٌ ومشهورٌ.

فقد جاء في الحديث: قصر الخُطبة وطول الصلاة مئنَّة فقه الإمام(٣).

فكان الصحابة رضي الله عنهم، يحفظون هذه الجمل والكلمات، فينقلونها للناس، ثمَّ يكررها النبي صلى الله عليه وسلم، في خُطبٍ أخرى، فيسمعها آخرون، ويتفق الجميع على نقلها من طرق متعدِّدة لمعنىً واحد تكرَّر في أكثر من خُطبة.

---

(١) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٩٨٤٤)، ورواه في أكثر من موضع، جاء في بعض رواياته: عن أبي قلابة، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وعمران بن حصين رضي الله عنه، قالا: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، خُطبة إلَّا أمرنا بالصدقة، ونهانا عن المثلة. المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٩٩٠٩).

(٢) صحيح البخاري _ مكنز _ برقم (٩٥)، وطرفاه (٩٤) و (٦٢٤٤).

(٣) روى مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٨٦٩): عن أبي وائل، قال: خطبنا عمار رضي الله عنه، فأوجز وأبلغ، فلما نزل، قلنا: يا أبا اليقظان، لقد أبلغت وأوجزت، فلو كنت تنفَّست؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إنَّ طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة، وإنَّ من البيان سحراً.

الثاني: أنَّه صلى الله عليه وسلم، كان يكرِّر الخطبة في المناسبات، سواء المناسبات المتكررة بانتظام كالصيام، والحج، أو المناسبات مُتغيّرة الأزمان كالحثِّ على الصدقة والأمر بها عند القحط والمجاعة، والحث على الغزو والجهاد زمن الجهاد، ونحو ذلك.

وإذا أضفنا إلى ذلك كله أنَّ مدار خطبهِ صلى الله عليه وسلم، على أمورٍ محددةٍ معلومةٍ، كحمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصافه، وتعليم قواعد الإسلام، والآداب والأحكام، وذكر المعاد والجنة والنار، والأمر بتقوى الله، تبيَّن لك أنَّ خُطبه صلى الله عليه وسلم، كان فيها تكرار، والله أعلم.

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم، حين سأل رجلاً: كيف تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد ثمَّ أقول: اللهم إنّي أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إنِّي لا أحسن دَنْدنتك ولا دندنة معاذ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حولها نُدَندن(١).

كلُّ ذلك يدلُّ على أنَّه صلى الله عليه وسلم، كان يكرِّر عدداً من الجُمل، أو الموضوعات في كثيرٍ من الخُطب لتُحفظ عنه. فضلاً عن كون الخُطب يُعتنى فيها بالحديث عن أمور المناسبات المتكررة، والآداب العامة كما سبق، ولا ضير في تكرارها، خاصَّة وأنَّ المقام مقام تعليم، وهو ما سارت عليه الأمَّة عبر قرونٍ متطاولة من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وإلى زمن الناس هذا. يخطب الخطباء عن فضل رمضان وأحكامه وما يتعلق به، قبل شهر رمضان، أو في أثناء الشهر، وعن الحج وأحكامه وآدابه، قبل الحج، أو في أيامه، وعن تعظيم الأشهر الحرم عند وقتها، أو فيه أيامها، وهكذا سائر المناسبات، ولا يخفى تكرار ما يسمى بخُطبة الحاجة، كما في حديث

(١) رواه الإمام أحمد في _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٥٩٣٩). من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، لرجل: كيف تقول في الصلاة.... فذكره.

عبدالله بن عباس رضي الله عنه، وعن أبيه، في قصَّة مقدم ضماد رضي الله عنه[١]، إلى مكة [٢].

وفي الصحيح من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، وعن أبيه، قال: كانت خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله، ويثني عليه، ثم يقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[٣].

الفصل الثالث

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي، من أزد شنوءة، كان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم، في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبَّب، ويرقي، ويطلب العلم، أسلم أول الإسلام. أسد الغابة (م س) (٣/ ٥٦) برقم (٢٥٦٩).

(٢) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٠٤٥)، ولفظه: أنَّ ضماداً رضي الله عنه، قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة، يقولون: إنَّ محمداً مجنونٌ. فقال: لو أنِّى رأيت هذا الرجل، لعلَّ الله يشفيه على يدى، قال: فلقيه. فقال: يا محمد إنّي أرقى من هذه الريح، وإنَّ الله يشفى على يدى من شاء، فهل لك؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أمَّا بعد. قال: فقال: أعد على كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء! ولقد بَلغن ناعوس _ أي: وسطه ولجته، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٨١) _ البحر. قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال: فبايعه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلى قومك. قال: وعلى قومي. قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، سريَّة فمرُّوا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردُّوها فإنَّ هؤلاء قوم ضماد.

(٣) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٠٤٢).

في ذكر جهود أهل العلم في العناية بالخُطب، وجمع ما تيسير منها قديماً وحديثاً، وذكر الصحابة رضي الله عنهم، وتصريحهم بأنَّ الحديث كان في خُطبة، وبيان أنَّ كلَّ ما في الخُطب فهو مبثوثٌ في الأحاديث.

أولاً: في ذكر جهود أهل العلم في جمع الخُطب أو بعضها، قديماً وحديثاً.

فهل جمع أهل العلم خُطب النبي صلى الله عليه وسلم؟ كلَّها أو بعضها؟

إنَّ الناظر في عالم المطبوع والمخطوط من التراث الإسلامي يجد أنَّ أهل العلم قديماً وحديثاً قد أَوْلوا هذا الجانب اهتمامهم، فقد جمعوا ما تيسَّر من خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، ابتداءً من علماء القرن الثالث، وإلى زمن الناس اليوم، ومن أمثلة ذلك(١):

(١) عامَّة ما سأذكره في هذا الباب، هو من مقال للدكتور عبدالحكيم الأنيس بعنوان: الكتب المؤلفة في الخُطب النبوية. وقد ذكر الدكتور مشكوراً عدداً آخر من المؤلفات في هذا الباب، فمن ذلك: خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري (ت٤٣٢هـ). والخُطب الأربعون المعروفة بالوَدْعانية، جمعها القاضي أبو نصر محمد بن علي بن ودعان الموصلي (ت ٤٩٤هـ). وخُطب الرسول صلى الله عليه وسلم، لأبي العباس الخضر الإربلي الشافعي (ت٥٦٧هـ). وخُطبة الوداع"، لأبي العباس نصر بن أحمد الإربلي الشافعي (ت٦١٩هـ). وموعظة الحبيب وتحفة الخطيب، لعلي القاري الحنفي (ت١٠١٤هـ). والخُطب المصطفوية، لمحمد علي أكرم الآروي. وخُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لعبد الباسط بن علي الفاخوري، مفتي بيروت (ت١٣٢٤هـ). وخُطبات محمدي، لمحمد بن إبراهيم الجوناكرهي (ت١٣٦٠هـ). والخُطب المأثورة، لأشرف علي التهانوي (ت١٣٦٢هـ). ومجموع من الخُطب النبوية، لعيسى البيانوني (ت١٣٦٢هـ). وإتحاف الأنام بخُطب رسول الإسلام، لمحمد بن خليل الخطيب. وتاريخ مقدمته (١٣٧٣هـ). وخُطب سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته، لمحمد شفيق الأرواسي (ت١٩٧٠م). وخُطبات النبي صلى الله عليه وسلم، لحبيب الرحمن الأعظمي. وخُطب الرسول صلى الله عليه وسلم، لمجدي الشهاوي. وقد ذكر ما يزيد على ٢٥٠خُطبة أو جزاء من الخُطبة. ومن أراد المصادر فعليه بالمقال.

١ _ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لعلي بن محمد المدائني (ت٢٢٤هـ) [١].
٢ _ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي أحمد العسّال (ت ٣٤٩هـ) [٢].
٣ _ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ) [٣].
٤ _ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي نُعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) [٤].

وقد بُحِثت الخُطب في بعض الرسائل الجامعية أو البحوث الأكاديمية، كما في:

١ _ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، جمع ودراسة، رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية، سنة١٤٢٠هـ، لعبد الملك بن سالم السيابي.

---

(١) عزاه المنجد إلى "الفهرست" ص (١١٤). وهو في سير أعلام النبلاء _ مؤسسة الرسالة، ط ٣ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) _ (٤٠٢/١٠)، والوافي بالوفيات_ دار إحياء التراث بيروت (١٤٢٠هـ _٢٠٠٠م) _ (٤٢/٢٢). ونُسِبَ في "إيضاح المكنون" (٢٩٢/٢)، إلى ابن المديني: علي بن عبد الله ابن المديني! وهو خطأ.

والمدائني، ترجم له الذهبي بقوله: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله، العلامَّة، الحافظ، الصادق، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، الإخباري. نزل بغداد، وصنَّف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السير، والمغازي، والأنساب، وأيام العرب، مُصدَّقاً فيما ينقله، عالي الإسناد. ولد: سنة اثنتين وثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء _ مؤسسة الرسالة، ط ٣ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) _ (١٩/ ٣٨٧)، ترجمة رقم (١١٣).

(٢) عزاه المنجد إلى هدية العارفين _ دار إحياء التراث العربي لبنان _ (٥٧١/١).

(٣) كتاب العسال، وكتاب أبي الشيخ الأصبهاني ذكرهما السخاوي في: الإعلان بالتوبيخ _دار الكتب العلمية، تحقيق فزانزر وزنثال _ ص (١٧٠).

(٤) التحبير في المعجم الكبير_ رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ط ١ (١٣٩٥هـ _ ١٩٧٥م) _ (١٨٠/١)، والمنتخب من معجم شيوخ أبي سعد السمعاني _ دار عالم الكتب، ط ١ (١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦م) _ (٥٨٢/١)، وسير أعلام النبلاء _ مؤسسة الرسالة، ط ٣ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) _ (٣٠٦/١٩).

٢ _ خُطب الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، دراسة توثيقية تحليلية، رسالة ماجستير تقدَّمَ بها مصعب نوري محمود العزاوي إلى كلية التربية في جامعة بغداد سنة ٢٠٠٤م.

٣ _ خُطب الرسول صلى الله عليه وسلم، جمعها وتبويبها ودراستها، للدكتور عمر القطيطي التونسي.

والكُتب في هذا الباب أكثر من ذلك، وأشهر.

واعلم أنَّ هذه الخُطب المنقولة هي بعض الخُطب، وليست جميع الخُطب، وأجزاء من الخُطب وليست الخُطبة كاملة.

وبهذا الجواب يظهر أنَّه تمَّ جمع بعض الخُطب، أو أجزاء منها، هذا من حيث الجمع والعناية بها، والتأليف المستقل في ذلك، فالقول بعدم كتابتها أو فقدانها، ونحو ذلك، هو قول من لم يتحرَّ في كلامه، ولم يُصب في مقاله.

ثانياً: ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، من ذكر لفظ الخُطبة في سياق الأحاديث.

فقد جاء في عددٍ من الأحاديث تصريح الصحابة رضي الله عنه، بلفظ الخُطبة، كقولهم: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو كقول: صعد المنبر، ثمَّ قال... ونحو ذلك. وأحاديث أخرى يُفهم منها أنَّها قيلت في مقام الخُطبة، كحديث: أتاكم رمضان، وأشباهه، فإنَّها تُشعر السامع بأنَّها خُطبة، وأحاديث كثيرة يذكر فيها: المنبر، كقولهم: صعد المنبر، جلس على المنبر، فقام على المنبر، ونحو ذلك.

وهذا يشمل خُطب الجمعة وغيرها، وقد يكثر التصريح بلفظ الخُطبة في غير خُطب الجمعة، كقول الصحابي: خطبنا في أضحى، أو خطبنا في عرفة، أو لمناسبة كحديث الدجال، أو حديث خطبة اليوم الكامل(١)، أو نحو ذلك.

ومن أمثلة ذلك:

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم، خُطبةً، ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلَّا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إنْ كنتُ لأرى الشيء قد نسيت، فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه(٢).

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم، يوم الأضحى بعد الصلاة، فقال: من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة فإنَّه قبل الصلاة، ولا نسك له(٣).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه، وعن أبيه، قال: خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم، بعرفات، فقال: من لم يجد الإزار فليلبس السراويل، ومن لم يجد النعلين فليلبس الخفين(٤).

---

(١) على ذلك ما جاء في حديث أبي زيد عمرو بن أخطب رضي الله عنه، صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٨٩٢).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٦٦٠٤). ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٨٩١).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري برقم (٩٥٥). ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (١٩٦١).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٥٣٧٥) و(١٧٤٠) و (١٨٤١) و (٥٨٠٤) و (٥٨٥٣). ورواه مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (١١٧٧) و (١١٧٨).

وفي حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول على المنبر في يوم الجمعة: ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته(١).

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وعن أبيه، يقول: جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم، على المنبر يوم الجمعة فقال له: أركعت ركعتين؟ قال: لا. قال: فاركع(٢).

فهذه خُطب _ في الجمعة وغيرها _ قد حفظت، ثمَّ كتبت، وهي وإن كانت ليست بالكثيرة إلَّا أنَّها ليست باليسيرة كذلك، وحين تُحسب مع ما سبق يكون لها شأن في المجموع، بحيث يُقال لمن سأل عن خُطب النبي صلى الله عليه وسلم: أين ذهبت؟ فنقول: لقد ذهب جزءٌ منها بسبب السفر، والجهاد، والحج، ونحو ذلك، وذهب جزءٌ آخر بسبب التكرار في الخُطب، وهذا جزءٌ ثالثٌ قد نقل إلينا، وتمَّت كتابته، ولو مُفرَّقاً.

ولو بحث الباحث في المسند، والكتب الستة فقط _ صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، وسنن النسائي _ بالألفاظ الدالة على الخُطب، نحو: خطبنا، خطيباً، يخطب، المنبر، وهو قائم يوم الجمعة، ونحو ذلك من الألفاظ لوجد ما يزيد على ألفين من النتائج(٣)، فكيف يقول القائل: أين خطب النبي صلى الله عليه وسلم؟

وهنا مسألة، وهي: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم، مع تصريحهم بذكر الخُطبة، إلَّا أنَّهم لم يلتزموا ذكر الخُطبة كاملةً! ولم ينقل لنا أحدٌ عن أحدٍ من الصحابة رضي الله

---

(١) سنن ابن ماجه _ مكنز _ برقم (١١٤٨).

(٢) سنن النسائي _ مكنز _ برقم (١٤١١).

(٣) وهذا يشمل المكرر بطبيعة الحال، ويشمل أيضاً خُطب الجمعة والأعياد، وكذا خُطب المناسبات والأحداث، لكن في الجملة سيكون لدى الباحث عددٌ ليس بالقليل من الجُمل والأقوال التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم، أثناء الخطب، والله الموفق.

عنهم، أنَّه ساق الخُطبة كاملة، فكان ذلك إجماعاً منهم على جواز رواية بعض الخُطبة، دون بعضها الآخر، ولم يؤثر عن أحدٍ منهم خلاف ذلك، ولا يُعلم أنَّ أحداً منهم انتقد ذلك، أو خطَّأ الناقل، وقد كان أحدهم يأتي وسط الحديث(١)، أو يقوم قبل تمامه(٢).

ثالثاً: في بيان أنَّ كثيراً من الأحاديث إنَّما أُخذت من خُطبه صلى الله عليه وسلم.

اعلم _ علمني الله وإياك _ أنَّ كثيراً من الأحاديث المنقولة عنه صلى الله عليه وسلم، إنمَّا نقلت عنه من خُطبه، سواء خُطب الجمعة، أو خُطب العيدين، أو خُطبة الحج المشهورة، أو خُطبة يوم النحر، أو خُطب المناسبات، كخُطب صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء، أو خُطب الأحداث التي يجمع لها الناس بقوله الصلاة جامعة،

---

(١) كما عند أبي داود في سننه برقم (١٦٩)، من حديث: عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، خُدَّام أنفسنا نتناوب الرعاية، رِعاية إبلنا، فكانت عليَّ رعاية الإبل، فروَّحتها بالعَشِي، فأدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخطُب الناس، فسمعته يقول: ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيحسن الوضوء ثمَّ يقوم فيركع ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلَّا قد أوجب. فقلت: بخ بخ ما أجود هذه. فقال رجل من بين يدي: التي قبلها يا عقبة أجود منها فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت: ما هي يا أبا حفص؟ قال: إنَّه قال آنفاً قبل أن تجيء: ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيحسن الوضوء، ثمَّ يقول حين يفرغ من وضوئه: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله إلَّا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

(٢) كما عند البخاري _ مكنز _ برقم (٣١٩١)، من حديث: عمران بن حصين رضي الله عنه، وعن أبيه، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بنى تميم. قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. مرتين، ثمَّ دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كلّ شيء، وخلق السموات والأرض. فنادى منادٍ ذهبت ناقتك يا ابن الحصين. فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أنِّي كنت تركتها، وله روايات.

وجَمْع الناسِ للخُطب كان هذا هو هَدي الناس حتى قبل الإسلام، وكذا في الإسلام فإنَّه صلى الله عليه وسلم، جمع الناس عند الصفا، وقال خطبته المشهورة.

وقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، أنَّه إذا نزل به أمرٌ أو وقعت حادثةٌ أنَّه يجمع الناس جميعاً ثمَّ يخطب فيهم، فكثيرٌ من الأحاديث من هذا الباب، ومن الأمثلة:

قصة الثلاثة الذي سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم، فجمع الناس لذلك(١)، وفي حديث تميم الداري رضي الله عنه، جمع الناس(٢)، بل في قصة عائشة رضي الله عنها، وعن أبيها، في عتق بريرة جمع الناس وخطب(٣). وكما جمع الناس وقت حادثة

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٥٠٦٣)، ولفظه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلمَّا أخبروا كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: أحدهم أمَّا أنا فإنِّي أصلى الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنِّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنِّي أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني.
ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (١٤٠١)، وعنده: فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ما بال أقوام... وهذا مُشعرٌ بكونه صلى الله عليه وسلم، جمعهم، ثمَّ خطبهم، والله أعلم.

(٢) رواه مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٩٤٢)، ومن حديث الشعبي عن فاطمة بنت قيس، قالت: قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، تميمٌ الداري رضي الله عنه، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنَّه ركب البحر... فذكر الحديث، وفي بعض رواياته: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قعد على المنبر، فقال: أيها الناس حدثني تميم الداري... الحديث.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٤٥٦)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (١٥٠٤)، ولفظه: عن عروة أنَّ عائشة أخبرته أنَّ بريرة جاءت عائشة تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيئًا، فقالت لها عائشة: ارجعي إلى أهلك فإن أحبوا أن أقضي عنك كتابتك ويكون ولاؤك لي فعلت. فذكرت ذلك بريرة لأهلها فأبوا، وقالوا: إن شاءت أن تحتسب
=

الإفك[١]، وهذا يدلُّ على أنَّ كثيراً من أحاديثه صلى الله عليه وسلم، إنَّما كانت في صورتها الأولى خُطبة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم، فحفظها الصحابة رضي الله عنهم، ألفاظاً ورووها للناس كذلك.

ومن هنا يظهر لنا أنَّ كثيراً من الأحاديث المنقولة عنه صلى الله عليه وسلم، إنمَّا هي من هذا الباب، كان يحدثهم في منبر الجمعة، أو يجمعهم ليحدثهم، فعلام يجتهد الناس في كتابة الخطبةِ مفردةً وهي عامة الأحاديث، وهي الكثرة الكاثرة منه، واعتاضوا عن ذلك بكتابة الأحاديث مفردة، في جمل مختصرة يسهل على السامع لها حفظها، وعلى الحافظ فهمها.

ثمَّ هو صلى الله عليه وسلم، كان يخاطب الناس عامَّة ولا يخاطب الآحاد منهم إلَّا فيما ورد، من مثل حديثه مع معاذ بن جبل رضي الله عنهن، في بيان حقِّ الله على عباده، وحقِّ العباد على ربهم[٢]، ونحو ذلك، ومثله قوله صلى الله عليه وسلم، لابن

=

عليك فلتفعل، ويكون لنا ولاؤك، فذكرت _ أي: عائشة رضي الله عنها _ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابتاعي فأعتقي، فإنّما الولاء لمن أعتق. وفي لفظ البخاري: ثمَّ قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المنبر، فقال: ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله، من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة مرة. وعند مسلم: فقالت: ثمَّ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشيةً، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثمَّ قال: أمَّا بعد، فما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله.

(١) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٤١٤١)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٧٧٠)، وله روايات عندهما. وفي روايةٍ لمسلم: قالت _ أي: عائشة رضي الله عنها، وعن أبيها _: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المنبر.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٢٨٥٦)، وأطرافه (٥٩٦٧)، (٦٢٦٧)، (٦٥٠٠)، (٧٣٧٣)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٤٨) و(٤٩) و(٥٠). ولفظ البخاري:
=

عباس رضي الله عنهم: يا غلام إنِّي أعلمك كلمات[1]، وكحديث: يا غلام سم الله وكُل ممَّا يليك[2]. أو الأحاديث التي فيها دعاءٌ لشخصٍ بعينه، أو مدحٍ، وأمثال ذلك من الأحاديث التي يمكن أن تُقال لأفراد من الأمَّة، وأمَّا عامَّة الأحاديث فهي ممَّا يقوله صلى الله عليه وسلم، للناس عامَّة، وأعظم ذلك في الخُطب.

وعليه فإنَّ كثيراً من الأحاديث كذلك، هي أجزاء من خُطبه صلى الله عليه وسلم، ومن أمثلة ذلك:

=

عن معاذ رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم، على حمارٍ يُقال له: عُفير، فقال: يا معاذ، هل تدرى حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنَّ حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (٢٦٦٩)، والترمذي في سننه _ مكنز _ برقم (٢٧٠٦)، وقال الترمذي: قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. ولفظ الحديث كما عند الإمام أحمد: عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه، وعن أبيه: أنَّه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوماً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام، إنِّي معلِّمك كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٥٣٧٦)، وأطرافه (٥٣٧٧)، (٥٣٧٨)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٠٢١) و(٢٠٢٢). ولفظ البخاري: عن وهب بن كيسان أنَّه سمع عمر بن أبى سلمة رضي الله عنه، يقول: كنت غلاماً في حِجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت يدى تطيش في الصحفة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا غلام سَّم الله، وكُل بيمينك، وكُل مَّما يليك. فما زالت تلك طِعمتي بعدُ.

١ _ حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه، وعن أبيه، أنَّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن صلاة الليل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة، توتر له ما قد صلى(١).

وهو جزء من خُطبة، فقد جاء في بعض رواياته: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يخطب، فقال: كيف صلاة الليل؟ فقال: مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة، توتر لك ما قد صليت. وفي بعضها: أنَّ رجلاً نادى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في المسجد(٢).

٢ _ حديث الأسود بن هلال، عن رجل من بنى ثعلبة بن يربوع، أنَّ ناساً من بني ثعلبة، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلاناً، رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تَجْني نفسٌ على أخرى(٣).

وهذا الحديث قاله النبي صلى الله عليه وسلم، أثناء الخُطبة، فقد جاء في رواية للنسائي، من حديث: ثعلبة بن زهدم، قال: انتهى قوم من بني ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يخطب، فقال رجل: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلاناً.. الحديث(٤).

وليس هذا فحسب، بل جاء عند الإمام أحمد: عن رجل من بني يربوع، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو يكلِّم الناس يقول: يد المعطي العليا، أمَّك

(١) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٤٧٣)، وأطرافه (٤٧٢)، (٩٩٠)، (٩٩٣)، (٩٩٥)، (١١٣٧)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٧٤٩)، وله طُرق.
(٢) رواها البخاري _ مكنز _ برقم (٤٧٣).
(٣) رواه النسائي _ مكنز _ برقم (٤٨٥٢)، (٤٨٥١)، (٤٨٥٢)، (٤٨٥٣)، (٤٨٥٤)، (٤٨٥٥).
(٤) رواه النسائي _ مكنز _ برقم (٤٨٥١).

وأباك، وأختك وأخاك، ثمَّ أدناك فأدناك. قال: فقال رجل: يا رسول الله، هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين أصابوا فلاناً، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا لا تجني نفس على أخرى، وفي رواية: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يخطب، ويقول: يد المعطي العليا، أمك وأباك، وأختك وأخاك، وأدناك فأدناك. قال: فدخل نفرٌ من بني ثعلبة بن يربوع، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، هؤلاء النفر اليربوعيون الذين قتلوا فلاناً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا لا تجني نفس على أخرى " مرتين[١].

وعند الإمام أحمد، من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم،... وفيه: ويد الله فوق يد المُعطِي، ويد المُعطِي فوق يد المُعطَى، وأسفل الأيدي يد المعطَى[٢].

وعنده _ أيضاً _ من حديث أبي الأحوص، عن عبدالله _ يعني: ابن مسعود _ رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى[٣].

فهذه خُطبة واحدة، وقع فيها أكثر من خبر، ونقلها الرواة مفرَّقة وقع التصريح بلفظ الخُطبة في بعضها ولم يذكر لفظ الخُطبة في بعضها الآخر.

(١) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٧٤٩٥).
(٢) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٥٣٢١).
(٣) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (٤٢٦١).

٣ _ حديث عبد الله بن دينار، عن ابن عمر رضي الله عنه، عن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلا لا يخلو رجل بامرأة، فإنَّ الشيطان ثالثهما، ومن سرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن(١).

ورواه الإمام أحمد من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية، فإن خلعها من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى وليست له حجة، ألا لا يخلونَّ رجل بامرأة لا تحل له، فإنَّ ثالثهما الشيطان، إلَّا مَحرمٌ فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من ساءته سيئته، وسرته حسنته فهو مؤمن(٢).

وأخرجه الإمام أحمد _ أيضاً _ من طريق أبي برزة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أكرموا أصحابي، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يظهر الكذب حتى يحلف الرجل قبل أن يُستحلف، ويشهد قبل أن يُستشهد، فمن أراد بحبوحة الجنة فعليه الجماعة، وإياكم والفرقة؛ فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلونَّ رجل بامرأة، فإنَّ ثالثهما الشيطان، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن(٣).

وكلُّ ذلك جزء من خُطبة للنبي صلى الله عليه وسلم، رواها النسائي بأطول من هذا، وفيه: قال عبدالله بن عمر رضي الله عنه، وعن أبيه: خطبنا عمر رضي الله عنه، بالجابية، فقال: إنِّي قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينا فقال: أوصيكم بأصحابي، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يفشو الكذب حتى يحلف الرجل، ولا يستحلف، وحتى يشهد ولا يستشهد عليكم بالجماعة، وإيّاكم والفرقة، فإنَّ الشيطان مع الواحد وهو من

(١) مسند البزار _ مكتبة العلوم والحكم _ (١/ ٢٧١).
(٢) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٥٦٩٦).
(٣) المسند _ الرسالة ط ٢ (١٤٢٩هـ) _ برقم (١٥٦٩٦).

الاثنين أبعد، لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ ثلاث مرارٍ إلَّا كان ثالثهما شيطان، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرَّته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن(١).

فهذه خُطبة واحدة للنبي صلى الله عليه وسلم، تفرَّقت ألفاظها في أحاديث عن عددٍ من الصحابة، ومثل ذلك كثير.

وهذا الأمر، أعني: رواية الخُطب على هيئة أحاديث مفرقة، هو أيسرُ في الحفظ، وأسرعُ في البلاغ، وبه تقومُ الحجة، ويصحُّ به الاستدلال، وقد فعل ذلك كلَّه الصحابة رضي الله عنهم، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلها الصحابة للتابعين، وهكذا رواها التابعون، وتتابعت الأمَّة خلفاً عن سلفٍ على ذلك دون نكير، واحتج الأئمة بالشواهد من الأحاديث، واستقرَّ على ذلك العمل.

واحتمال أنَّه صلى الله عليه وسلم، ذكر ذلك في خطبته، ثمَّ ذكره في مواطن أخرى من باب التكرار وارد أيضاً، وهذا التكرار يدلُّ على أنَّ الخطبة جزء من خطاب الشارع ليس لها اختصاص بالتواتر أو الأهمية كما ذكر ذلك بعضهم، وفي كلِّ الأحوال السُّنَّةُ كاملةٌ، والأحاديث محفوظةٌ.

فكلُّ ما بلَّغه النبي صلى الله عليه وسلم، لأمَّته سواء في خُطبه أو غيرها، حَفظه الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، وبلَّغوه من بعدهم، ورووه الشيء بعد الشيء، يروي أحدهم شطراً، وغيره شطراً آخر، حتَّى اكتملت الخُطب نقلاً وحفظاً، فلم يندَّ منها شيء، ولم يذهب منها لفظٌ، كلُّ ذلك في يسرٍ وسهولةٍ لا مشقَّة فيها، والحمد لله.

وهذا القدر كافٍ _ بحمد الله _ في بيان أنَّ الخُطب النبوية محفوظة، مبثوثة في الأمَّة على صورٍ شتَّى، منقولة لنا جُملاً جُملا، وهو جوابٌ على سؤالهم: أين هي الخُطب؟

وأمَّا لماذا لم تُكتب الخُطب كاملة تامَّة في حديث واحد لكلِّ خُطبة خُطبة، فجوابه في الفصل الآتي، بعون الله تعالى.

---

(١) السنن الكبرى _دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤١١هـ _ ١٩٩١م) _ برقم (٩٢٢٣_ ٩٢٢٥).

الفصل الرابع: في ذكر الحكمة من عدم الأمر بكتابة الخطب، وحفظها كاملة بنصها.

تقرَّر فيما سبق أنَّ كلَّ الوحي الذي قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، قد قامت الأمَّة بحفظه، وكتابته، ونقله، فلم تترك منه شيئاً، ولم يخفَ عليها منه شيء، وبلغنا غضاً طرياً كما نزل، فهذا الدِّين قد اكتمل وبلغ الكمال، كمالٌ في أحكامه وتشريعاته، وكمالٌ في ألفاظه ومفرداته، وممَّا طاله كمال هذا الدين طريقة وصوله، فسمعه التابعون من الصحابة الكرام كما سمعه الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا تناقلته الأمَّة جيلاً بعد جيلٍ إلى زمن الناس اليوم، يعرف آخرهم صحته من ضعفه، كما يعرفها الأول.

ومع ذلك سندكر بعون الله تعالى هاهنا أسباباً نرى أنهَّا قد تكون صالحةً لبيان السبب في عدم كتابة الخُطب كاملةً، وحِكماً تُبيِّن مقصد الشارع في عدم الأمر بكتابة الخُطب، والله أعلم، فمن هذه الحِكم والأسباب:

أولاً: أنَّ في عدم الأمر بكتابة الخطب كاملةً من بدايتها إلى نهايتها، بحيث يقول التابعي: أخبرنا الصحابي، أنَّه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:... ثمَّ يسوق الخُطبة كاملة، الأولى والأخرى، من فاتحتها إلى خاتمتها، من حمدها وصلاتها إلى صلاتها وسلامها، بألفاظها وسياقها، أقول: في عدم الأمر بفعل ذلك رحمةٌ بالأمة، ورفعٌ للمشقة عنها، وتخفيفٌ على المصلين، ومراعاةٌ لأحوال المأمومين.

ووجه ذلك: أنَّ الخطب لو حُفظت أو كُتبت كاملة كما خطبها النبي صلى الله عليه وسلم، لكان هنالك مشقَّةً على الأئمة والخطباء من جهة احتمال التزام الخطباء بها، أو إلزامهم بها، وذلك لأنَّ الناس جرت عادتهم على الاختلاف، فتراهم يختلفون في حال الخُطب كثيراً سواءً في طولها وقصرها، أو في موضوعها ووقتها، ونحو ذلك، فلو وجدوا خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، كاملةً لخطب بها الخطباء حتى يتخلَّصوا من نقد

العوام، وكلام المأمومين، أو لخطبوا بها اتباعاً لسيد الأنام، عليه الصلاة والسلام، أو لسعى الناس والمصلُّون إلى من بيده الأمر لإلزام الخطباء بها.

فيكون الخطيب مُقيِّداً نفسه، أو مُقيَّداً مأموراً بهذه الخطب على الدَّوام، مدَّة كونه خطيباً، وهكذا حال من يأتي بعده.

فهل من العقل أن تحضر خُطبة الجمعة سِنين متتابعة، وأَعواماً متتالية، لتسمع ذات الخُطبة من ذات الخطيب في الوقت نفسِه؟!

لا شكَّ أنَّ هذا ليس من مقاصد الشريعة، فالخُطبة كانت وسيلة لتعليم الناس لا لتكرار الكلام عليهم.

ولذا كان من هديه صلى الله عليه وسلم، أن ينوع في الخُطبة بحسب حوادث الزمان، ونحو ذلك، وكم صعد النبي صلى الله عليه وسلم، المنبر ليقول: ما بال أقوام، وما بال أقوام.... في حوادث وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم، فكان المنبر هو مكان العلاج لها، وكم صعد صلى الله عليه وسلم، ليفقِّه الناس في أمورِ دينهم، ولمَّا بلغه خبر تميم الداري جمع الناس وخطب _ وإن كانت ليس خُطبة جمعة _ إلَّا أنَّ المقصد واحد، ومعالجة الحوادث هو المطلب(١).

ثمَّ لو خطب الإمام بذات الخُطب التي خَطب بها النبي صلى الله عليه وسلم، بسياقها وألفظها، فمتى يشرحها للناس؟ ومتى يوضِّح ما فيها من أحكام؟ عندها ستكون الخُطبة بمثابة ومنزلة قراءة متن من متون الأحاديث، فإن شرح الألفاظ أثناء الخَطبة طالت عن خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن قرأها كما هي عجزت أفهامُ كثير من العوام عن دَركِ معانيها، ومعرفة ما فيها من علم، فمتى ينتفعون بالخُطبة؟

(١) مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ من حديث: الشعبي، عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٢٥٨٤).

ثانياً: وهو من الأمور العظيمة التي ينبغي لكلِّ مسلم أن يُدركها ويَعلمها، لعلاقتها بشأن النبوة والرسالة، ففي عدم حفظ خُطبهِ صلى الله عليه وسلم، كاملةً بحيث يتناقلها الرواة، دليلٌ على صدقه صلى الله عليه وسلم، وأنَّه رسولٌ من عند الله تعالى، وبيان ذلك فيما يلي:

أنَّ الله تعالى أنزل القرآن على غير ما شُهِر به العرب من الشعر فلم يكن القرآن منظوماً كنظم الشعر، ولا مقفًّى كقافية الوزن حتى لا يوصف الرسول صلى الله عليه وسلم، بأنَّه شاعر، ولم يكن سياق القرآن على طريقة تمتمة السحرة، ولا همهة الكهنة، ولا من السجع الممجوج، ولا نحو ذلك، ولذا كذَّبهم القرآن في نسبة أيٍّ من هذه الأوصاف لنبيه صلى الله عليه وسلم، فقال عزَّ من قائل عليم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠ – ٤٢]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ۝٦٩﴾ [يس: ٦٩].

فحفِظَ الله تعالى كتابه بصيانة نبيه صلى الله عليه وسلم، من مشابهة كلامهِ كلامَ السحرة، والكهنة، والمجانين، وقصائد الشعراء، حتى لا يرجع ذلك على القرآن بالتكذيب.

وهاهنا حفظ الله شأن الرسول صلى الله عليه وسلم، كما حفظ شأن القرآن، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم، في ذاته خطيباً كما كان الخطباء في زمنه، ولذا لم يشتهر بهذا، ولم يُقل عنه: أخطب العرب، أو نحو ذلك، بل كان له خطيبٌ، وهو: ثابت بن قيس بن شمَّاس رضي الله عنه[1]، ولم يكن صلى الله عليه وسلم، شاعراً، بل كان له

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك، وهو: الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وأمُّه امرأة من طيء، يكنى: أبا محمد بابنه محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن.
=

شاعرٌ، وهو: حسان بن ثابت رضي الله عنه[١]، ولم يكن صلى الله عليه وسلم، كاتباً بل كان له كُتَّابٌ، منهم: زيد بن ثابت رضي الله عنه[٢]، وهذا حماية لجناب الوحي أن يشابه ما كان معروفاً ومشهوراً عند العرب قبل الإسلام.

فلم يأت على وِفق ما كان معروفاً عند العرب، فلو كانت الخطابة هي وسيلته، لانتشر بين الناس أنَّه خرج في قريش، أو في مكة خطيبٌ مصقع[٣]، ولقال قائلهم: أهو

=

وكان ثابت خطيب الأنصار، وخطيب النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان حسان شاعره، وقد ذكرنا ذلك قبل، وشهد أُحداً، وما بعدها، وقُتل يوم اليمامة، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، شهيداً. أسد الغابة (م س)، (٤٥١/١) برقم (٥٦٩).

(١) حسَّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، واسمه: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، ثمَّ من بني مالك بن النجار، يُكنى أبا الوليد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو حسام، لمناضلتِه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولتقطيعه أَعراض المشركين، وأمُّه الفريعة بنت خالد بن خنس بن لوذان بن عبد ود ابن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن كعب بن ساعدة الأنصارية، يقال له: شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. أسد الغابة (م س)، (٢/ ٦) برقم (١١٥٣).

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد ابن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي، ثمَّ النجَّاري أمُّه النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، كنيته أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو خارجة... وكان زيدٌ يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الوحي وغيره، وكانت ترِد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتبٌ بالسريانية، فأمر زيداً فتعلَّمها، وكتب بَعد النبي صلى الله عليه وسلم، لأبى بكر، وعمر رضي الله عنهم. أسد الغابة (م س)، (٢/ ٣٤٦) برقم (١٨٢٤).

(٣) قال ابن فارس: صقع: الصاد والقاف والعين أصول ثلاثة: أحدها: وقع شيء على شيء كالضرب ونحوه، والآخر: صوت، والثالث: غشيان شيء لشيء... وأمَّا الصوت، فقولهم: صقع الديك يصقع. ومن الباب خطيب مصقع، إذا كان بليغاً، وكأنَّه سُمِّي بذلك لجهارة صوته. معجم مقاييس اللغة _ دار الجيل، ط ١ (١٤١١هـ) _ (٣/ ٢٩٧) مادة (صقع).

=

كسحبان وائل؟ أو كقسِّ بن ساعدة الإيادي _ وكلاهما خطيبٌ مشهورٌ _ فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم، خطيباً كحالهما، حتى لا تقع المماثلة والمقارنة بينه صلى الله عليه وسلم، وبينهم.

وحماية جناب المصطفى صلى الله عليه وسلم، مقصدٌ شرعي، كما جاء في حديث: لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه[1]، فلو تحدَّث الناس بذلك لكان موجباً لصدِّ البعض عن هذا الدين، أو لوصِف النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، بما لا يليق به.

وكذا الحال هاهنا فإنَّ انتشار مقولة: خرج في مكة، أو في قريش خطيبٌ مُفوَّه، ستجعل المستمع للكلام المنقول عنه صلى الله عليه وسلم، يقارنه بكلام الناس، وأقوال الخطباء، ونحو ذلك، وإخراجه عن إطار القداسة، والعصمة، والوحي، والواجبُ تعظيم النصِّ، ورفعه عن كلام الناس، وهذا ظاهرٌ لمن تأمَّل ذلك، والله الموفق والهادي.

=

وقال في مادة (سقع): السين والقاف والعين ليس بأصل؛ لأنَّ السين فيه مُبدلة من صاد. يقال: صقع وسقع، وصقعته وسقعته، وما أدري أين سقع؟ أي: ذهب. معجم مقاييس اللغة _ دار الجيل، ط ١ (١٤١١هـ) _ (٣/ ٨٧).

وقال الخليل: كلُّ صاد تجيء قبل القاف وكلُّ سين تجيء قبل القاف، فللعرب فيه لغتان: منهم من يجعلها سيناً، ومنهم من يجعلها صاداً، لا يبالون أمتصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكونا في كلمة واحدة، إلَّا أنَّ الصاد في بعضٍ أحسن والسين في بعضها أحسن. تهذيب اللغة للأبي منصور الأزهري _ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١ (٢٠٠١م) _ (١٢٥/١) دار إحياء التراث (٢٠٠١م).

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. البخاري _ مكنز _ برقم (٣٥١٨) و (٤٩٠٥) و(٤٩٠٧)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٥٨٤).

لكنَّه صلى الله عليه وسلم، شُهر وعُرف بالفصاحة[١] ذلك أنَّ القرآن نزل بلغة العرب فكانت فصاحته المتضمِّنة اختيار أحسن الألفاظ وأكثرها دلالة على المعنى، وأوجزها في الحروف، وأيسرها على اللسان كانت هذه الفصاحةُ لازمةً له صلى الله عليه وسلم، فإنَّ الفصاحة والبلاغة من الحُسنِ والكمالِ، وهو بهما أولى، وهي به صلى الله عليه وسلم، أَليق، ثمَّ إنَّ الفصاحة والبلاغة من مُوجبات البيان، والله يقول في القرآن: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، والفصاحة والبلاغة ظاهرةٌ في كلامه صلى الله عليه وسلم، فقد جمع الله تعالى له المعاني الكثيرة في الجُمل اليسيرة، وفي الحديث: بُعثت بجوامع الكلم[٢].

وممَّا يلزم في حقِّه صلى الله عليه وسلم أيضاً، معرفته التامة باللغة العربية، لفظاً ومعنى، وكما قال الشافعي رحمه الله: ولا نعلمه يحيط بجميع علمه _ أي: لسان العرب _ إنسانٌ غير نبي[٣]، فجمع الله تعالى له صلى الله عليه وسلم، بين الحُسنيين: كمال فصاحته؛ وبلاغته؛ ومعرفة باللغة، مع عدم مشابهة كلاهم شعراً؛ ونثراً.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة _ عوامة: شركة القبلة، ط ١(١٤٢٧هـ) _من حديث أبي أسامة , عن ابن عون , عن محمد , عن رجل , من بني زريق قال: لما كان ذلك اليوم خرج أبو بكر , وعمر حتى أتيا الأنصار , فقال أبو بكر: يا معشر الأنصار , إنا لا ننكر حقكم ; ولا ينكر حقكم مؤمن , وإنا والله ما أصبنا خيرا إلا ما شاركتمونا فيه , ولكن لا ترضى العرب ولا تقر إلا على رجل من قريش لأنهم أفصح الناس ألسنة... برقم (٣٧٠٥١).

(٢) صحيح البخاري _ مكنز _ برقم (٢٩٧٧)، ولفظه: عن أبى هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بُعثت بجوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدى. قال أبو هريرة رضي الله عنه: وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتم تنتثلونها. أطرافه (٦٩٩٨)، (٧٠١٣)، (٧٢٧٣).

(٣) الرسالة للشافعي _ بتحقيق الشيخ: أحمد شاكر _ (ص: ١٧).

وتمام كلام الإمام الشافعي: (١٣٨) ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسانٌ غير نبي، ولكنَّه لا يذهب منه شيءٌ على عامتها حتى لا يكون =

ومن هنا تكتمل المنظومة الرسالية في كمال الوحي وعظمته، وذلك في حفظ الوحي، وحفظ الرسول، وحفظ من بلَّغ الرسول، ولذا كان الإيمان بالملائكة والكتب والرسل من أركان الإيمان(١)، وكان من ذلك حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، ممَّا كان مشهوراً في زمنه، أو ما يمكن أن يشكِّك فيه أحد بسببه، ولهذا حُفظ لنا حديثه كمُبلِّغ عن ربِّه جاء بجوامع الكلم، ولم تحفظ لنا خطبه كخطيبٍ مصقعٍ، وإن كان هو _ بأبي وأمي صلوات ربي عليه _ أفصح الخطباء، وأكثرهم أثراً، وأعظم البلغاء، وأوجزهم عبارة، وأصدق من تكلَّم، وأعلم من نطق، ومثل ذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم، من الطبِّ، والفلك، والتأريخ، وقصص الماضين، ونحو هذه العلوم، فكلُّه حقٌّ ويقينٌ لا ريب فيه، وصدقٌ وصوابٌ لا شكَّ فيه، ومع هذا كلِّه لم يُعرف صلى الله عليه وسلم، عند أمَّته بشيء من ذلك كله، فلم يوصف بكونه طبيباً، أو راقياً، كما لا ينبغي الآن وصفه بأنَّه عالم فيزياء، أو فلكٍ، أو نحو ذلك، وإنمَّا كان كمال أمره، وتمام شأنه صلى الله عليه وسلم، في ارتباطه بالوحي، وعلاقته بالرسالة، فجاء بالقرآن على غير سَنن العرب في الكلام من حيث السجع والشعر، وجاء هو صلى الله عليه وسلم، بطريقة غير العرب في إيصال الكلام من الشعر، أو الخطابة، والحمد لله.

ومن هنا _ أيضاً _ يظهر أحد أوجه الإعجاز في آيات الأنبياء، وهو أنَّهم عليهم السلام أَتوا بِجنس ما اشتهر به أقوامهم من غير أن يشتركوا معهم فيه، فموسى عليه

=

موجوداً فيها من يعرفه (١٣٩) والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء (١٤٠) فإذا جمع علم عامَّة أهل العلم بها أتى على السنن، وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها ثمَّ ما كان ذهب عليه منها موجوداً عند غيره.

(١) وهذه الأركان، وهي: الإيمان بالملائكة والرسل والكتب مرتبطٌ بعضها ببعض، فالكتاب نزل به الرسول الملَك إلى الرسول البشري، والقدح في أحدهما قدح في الكتاب، والكتاب كلام الله تعالى، وكلامه سبحانه محفوظٌ وقت نزوله، ومحفوظٌ بألفاظه إلى آخر الزمان.

السلام، جاء بالعصى، واليد البيضاء، ولم يكن ساحراً حاشاه عليه الصلام والسلام، وعيسى عليه السلام جاء بإحياء الموتى، وأنَّه يمسح على المريض فيبرأ، ومع ذلك لم يكن عليه السلام طبيباً، وقبلهما صالح عليه السلام أخرج ناقةً مبصرةً من صخرة صمَّاء، فلم يكن نحَّاتاً كقومه.

وهذا لا يتنافى مع المهن التي كانوا يمتهنون، كرعي الغنم، فلها مقاصد أخرى، ولا علاقة لها بشأن النبوة، بحيث لا يكون امتداد هذه المهنة يفضي إلى طلب الرئاسة والملك ونحو ذلك، ممَّا قد يُطعنُ في قصد الرسول به، ولذا كان من أسئلة هرقل عظيم الروم _ كما في الصحيحين _ لأبي سفيان رضي الله عنه: فهل كان من آبائه من مَلك؟ قال أبو سفيان: لا، ثمَّ قال هرقل: فلو كان من آبائه من ملك، قلتُ: رجلٌ يطلب ملِك أبيه(١).

وهذا يدلُّ على أنَّ الله تعالى حَمى أشخاص الرسل الكرام عليهم السلام، من فعل ما يقدح في رسالتهم، أو في صدق دعوتهم. ومن هنا نفهم أيضاً حديث: ما من نبيٍّ إلَّا ورعى الغنم(٢). فإنَّ رعاية الغنم فيها ما يجعل راعيها بعيداً عن طلب الملك، بعيداً عن الرياسة والكبر والقسوة وغلظ القلب والجفاء، وهي صفات منافية للنبوة، ويكون راعي الغنم قريباً من التواضع والسكينة.

أو يكون ما جاءوا به من المهن ممَّا يُعين في التعامل مع الأحداث كرعي الأغنام فإنَّه يُكسب عامله الاهتمام بما وكِّل به، أو يكون عمله نافعاً كالنجارة لنبي الله نوح عليه السلام، حين أمره الله بصنع الفلك، ونحو ذلك. ولا يشكل على ذلك علم نبي الله تعالى داود عليه السلام بالحديد والسلاح، فإنَّه كان نبياً ملكاً، فاستدعى ذلك علمه بهذا، أو بمزيد فهمٍ للأمور كما هو شأن سليمان عليه السلام، ومع هذا فقد وقع زيادةٌ في علم

(١) صحيح البخاري _ مكنز _ برقم (٧).
(٢) متفق عليه، رواه البخاري _ مكنز _ برقم (٣٤٠٦)، (٥٤٥٣)، ومسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٠٥٠).

نبي الله داود عليه السلام بالحديد، حيث أُلينَ له كما قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ: ١٠]. وهذا لا يوافقه فيه أحدٌ من عامَّة الناس، وكذا ما كان من فهم سليمان عليه السلام.

ولنعلم أنَّ مقام النبوة أعلى وأجل من مقام الخطيب، فإنَّ مقام النبوة مقام علمٍ وفقهٍ ودعوةٍ، وجوامعَ للكلم، وليس مقام ثرثرةٍ وتفيهقٍ وتشدُّقٍ، وخطبٍ وتشقيقٍ للكلام(١).

وليس شأن النور والهدى، أن يُحصر في خُطبة، فيكون هذا شرفاً للخُطب والخطابة من حيث هي حين اختيرت لهذا المقام، عندئذ سيتسابق الناس إلى الخطب والخطابة، وسيرغب كل أحدٍ أن يكون خطيباً، لكنَّها كانت قرآناً ووحياً على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، تقف دونها همم الناس، وتعجز عنها قدارتهم، فيكون جُهدهم في اتِّباع الرسول لا في مجاراته، وسعيهم في العمل بما ء جاء به، لا في كيف جاء به، والله أعلم.

ثالثاً: في عدم كتابة الخطب إشارة وتوافق مع أنَّ الشرع صالح لكل زمان ومكان، وفيه إشارة إلى روح هذا الدين وعظمته، فالدين مقصدٌ ومطلبٌ، والخطبة وسيلةٌ من وسائل تبليغ الدين، وكذا طريقة عرض الكلام الذي يقال فيها، فالباب واحد، وهذه الخطبة وسيلة شرعية ألزمنا الشرع بها ورتب عليها الثواب، لكنه لم يلزمنا بذلك في

(١) وقد جاء في الشرع ذم التفيهق، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أنَّه ذكر الفتنة، فقال: أيُّ أهل ذلك الزمان شرٌ؟ قال: كلُّ خطيبٍ مسقعٍ، وكلُّ راكبٍ موضعٍ. أخرجه البغوي في شرح السنة _ مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤٠٣هـ) _ برقم (٤٢٢٣). وجاء مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الفتنة الرابعة لا ينجو من شرِّها إلَّا من دعا كدعاء الغرق، أسعد أهلها كلُّ تقيٍ خفيٍ، إذا ظهر لم يُعرف، وإن جلس لم يفتقد، وأشقى أهلها كلُّ خطيبٍ مسقعٍ، أو راكبٍ موضعٍ. الفتن لنعيم بن حماد_ مكتبة التوحيد، القاهرة، ط ١ (١٤١٢هـ) _ برقم (٣٦٧)، (٧٢٠). بإسنادين أحدهما منقطع، والآخر فيه مجهول، وآخر منكر الحديث.

ألفاظ الخطبة كاملة، بل اكتفى الشارع بالبدء بذكر الله عز وجل، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم،... إلى آخر ما يذكره الفقهاء، دون إلزام _ بحيث لا تصحُّ الخُطبة دونه _ بشيءٍ من أمور الخُطبة من قيام، ورفع صوت، ونحوه.

وذلك أنَّ الهدف من الخطبة توجيه الناس وتعليمهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم، يعلِّم الناس من على منبره، الأحكام الشرعيَّة، والآداب المرعيَّة، فقد علَّمهم القرآن، والصلاة، والأحكام، والآداب، وخطب عمَّا يقع الناس فيه من الأخطاء، وما يجري لهم من المناسبات والأحداث، وشاركهم صلى الله عليه وسلم، في همومهم وأحوالهم حتى في أثناء الخطب، فقد رفع صلى الله عليه وسلم، يديه في الخطبة _ حين شكى له الرجل ما أصابهم من القحط _ فدعا بالمطر؛ فسالت الأودية، وارتوت المدينة بماء السماء(١)، وهذا كلَّه يدلُّ على أنَّ الخطبة ليست جامدة على موضوعات محدَّدةٍ، أو ألفاظٍ مكررَّة، تنتهي بانتهاء العام، فلو جَمد الخطيب على خُطبةٍ واحدةٍ قبل رمضان من

(١) صحيح البخاري _ مكنز _ برقم (٩٣٣)، ولفظه: عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أصابت الناس سنةٌ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم، يخطب في يوم جمعة قام أعرابي، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه، وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثمَّ لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم، فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد والذى يليه، حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي _ أو قال: غيره _ فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه، فقال: اللهم حوالينا، ولا علينا. فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلَّا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة، وسال الوادي قناة شهراً، ولم يجئ أحد من ناحية إلَّا حدث بالجود. وأطرافه (٩٣٢)، (١٠١٣)، (١٠١٤)، (١٠١٥)، (١٠١٦)، (١٠١٧)، (١٠١٨)، (١٠١٩)، (١٠٢١)، (١٠٢٩)، (١٠٣٣)، (٣٥٨٢)، (٦٠٩٣)، (٦٣٤٢).

كلِّ عام، ونحو ذلك لأصحاب الناس الملل من الخُطب، ولكان الخطيب ملزماً بذكر الدعاء الذي دعا به المصطفى طلباً للسقيا في كل عام في ذات الشهر[1]!!

ولكن اختلاف الخُطب وتنوّع الخطباء، وطريقة الألقاء، وتجدُّد الموضوعات، ومعالجة النوازل بطرقٍ متباينة كلَّ ذلك يجعل الجمودَ على خُطبٍ محددةٍ أمراً ليس مقصوداً للشارع.

بل لو حُفظت الخُطب بألفاظها، وكانت معلومة العدد والمناسبات، لأجتهد كثير من الأئمة في طريقة إلقائها، ولا يَبعُد أن تُقرأ بالألحان، حتى يتغنَّى بها الخطباء فوق أعواد المنابر، ولا يَبعُد أن تكون لها عوائد وطرائق لا يرى الناس أنَّهم حضروا الخُطب إلَّا بها.

وأخشى أن يكون في هذه الدعوى _ أعني: السؤال عن خطب النبي صلى الله عليه وسلم _ افتئاتٌ على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أمر صلى الله عليه وسلم، بكتابة القرآن، وكان له كَتَبة، وأَذن في كتابة الحديث بعد إذ نهى عنه، ثمَّ أمر بذلك، والخُطب بعض كلامه صلى الله عليه وسلم، وطائفة من حديثه، ولا شكَّ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم، فعلوا ذلك، ولو كانت الخُطب مقصودة لذاتها لأمر بها صلى الله عليه وسلم، أمراً خاصاً، أو استثناها من النهي، وحيث لم يأتِ الأمر الخاصّ بحفظ الخطب بهيئتها المعهودة كاملة، ولم ينقل لنا الصحابة رضي الله عنهم، الخُطب من حمدها إلى صلاتها، علمنا أنَّ الصحابة رضي الله عنهم، امتثلوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، في حفظ ما قال، وتبليغه، فحفظوها مفرَّقة، ونقلوها كاملةً غير منقوصة، ولله الحمد.

وأخيراً:

(١) ومعلوم الاختلاف بين الحساب الشمسي والحساب القمري، فيكون الخطيب ملزماً بالدعاء بالمطر في غير وقته، والله تعالى أعلم.

اعلم علمني الله وإياك أنَّ الدين كاملٌ لا نقصَ فيه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقد نقل إلينا كاملاً كما هو كتاباً وسنةً، لم يغبْ منه شيء، ولم يسقط منه حرف، وقد تعهَّد الربُّ عز وجل بحفظ الذكر، فقال عز وجلَّ في محكم التنزيل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وجاء في الأحاديث القولُ بتجديد أمرِ الدين في كل مئة عام[1] , فحُفِظ الكتاب بنصّ الكتاب، وكذا أحاديثه صلى الله عليه وسلم، قد حُفظتْ وجمعتْ، ودوّنتْ وكتبتْ، ولم تنقضِ القرون الأولى حتى باتت الأحاديث في بطون الكتب، لا يغيب منها حديث، ولا يندُّ منها أثر، ومن زعم غير ذلك، فقد زعم نقص الدين على جيل حتى ينخرم وذلك زعم باطل بالاتفاق، ومن تأمل في القرآن، يجد في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: ١١٦]، وقول الله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ٥٠].

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم، أنَّه قال: إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها. رواه أبو داود _ دار الكتاب العربي، بيروت _ برقم (٤٢٩١)، وصحَّحه السخاوي في المقاصد الحسنة _ دار الكتاب العربي، ط ١ (١٤٠٥ هـ _ ١٩٨٥م) _ (١٤٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة _ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض (١٤١٥هـ) _ برقم (٥٩٩).

من تأمل هذه الآيات يجد أنَّ الله لا يقبل إلَّا الإسلام، وهذا الإسلام قد كمل وتمَّ، حلالُه وحرامُه، وشريعتُه وأحكامُه، فقهاً وعقيدةً وسلوكاً.

فإذا عُلم ذلك، وأنَّ الدين كاملٌ، فما نفع هذا السؤال؟ وما الهدف منه؟

إن كان الدافع له هو الحرص على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم؟ فهي كاملة وثابته بحمد الله.

وإن كان الدافع هو معرفة كيف كان حاله صلى الله عليه وسلم، في خُطبه، فقد نقل لنا الصحابة الكرام رضي الله عنهم، حاله في الخطبة، وطريقته فيها، ونماذج كثيرة منها، حتى كأنَّك تشاهده صلى الله عليه وسلم، خطيباً قد أحمرَّ وجه وعلا صوته وانتفخت أوداجه، يهتزُّ به المنبر، حتى يقول القائل: أَساقطٌ به[1]؟

وعند مسلم، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، وعن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه حتى كأنَّه منذر جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم [2].

وإن كان المقصد معرفة الخطب لذاتها، فما الموجب لذلك؟ وما ثمرته؟

أم أنَّ المقصد والهدف من طرح هذه التساؤلات إنمَّا يُراد به التَّشكيك في الأحاديث، أو في نقلتها؟ أو التَّشكيك في كمال هذا الدين وتمامه؟

فإن كان كذلك فبئساً للسائل، وتعساً له، فإنمَّا يضرُّ نفسه، وكما قال الله: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٧].

---

(١) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٢٧٨٨)، ولفظه: عن عبيد الله بن مقسم، أنَّه نظر إلى عبد الله ابن عمر رضي الله عنه، وعن أبيه، كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يأخذ الله عز وجل سمواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله _ ويقبض أصابعه ويبسطها _ أنا الملك. حتى نظرت إلى المنبر يتحرَّك من أسفل شيء منه، حتَّى إنِّي لأقول: أَساقطٌ هو برسول الله صلى الله عليه وسلم؟

(٢) صحيح مسلم _ ت: محمد فؤاد عبد الباقي _ برقم (٨٦٧).

إذن ما الثمرة من السؤال؟!

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سورة النساء:٦٦٧٠]. [النساء: ٦٦ – ٧٠].

وبهذا ينتهي المقصود من هذا التأليف، وإن كان المقام يحتمل أضعاف ذلك، لكنّي آثرت الاختصار لوفاء المختصر بالموضوع _ فيما أرجو _، ولرفع المشقَّة على القارئ بالإطالة.

والله أسأل لي ولك ولمن سأل التوفيق والسداد، فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة:

تـمَّ بحمـد الله المُـراد مـن البحـث، ونـذكر فـي هـذه الخاتمـة أهـمَّ النتـائج، وبعـض التوصيات،

فمن النتائج، ما يأتي:

أولاً: أنَّ العدد المذكور للخُطب، وهو [٥٢٠ خُطبة] غير صحيح، وغير دقيق، والخُطب التي خطبها النبي صلى الله عليه وسلم، دون ذلك بكثير.

ثانياً: أنَّ الخُطب محفوظةٌ موجودةٌ، ولم يفقد منها شيءٌ، ووجه حفظها في الصور الآتية:

١_ حفظ الخُطبة كاملة، وهو قليلٌ، ومثاله: خُطبة حجة الوادع، وأوَّل خُطبة للنبي صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة[١].

---

(١) في تأريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري _ دار الكتب العلمية، ط ١ (١٤٠٧ هـ) _ (٢/٧):
قال: حدثني يونس بن عبدالأعلى، أخبرنا ابن وهب، عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، أنَّه بلغه عن خُطبة النبي صلى الله عليه وسلم، في أوَّل جمعة صلَّاها بالمدينة، في بني سالم بن عمرو بن عوف رضي الله عنهم:

الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأستغفره، وأستهديه، وأؤمن به، ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأن محمـداً عبـده ورسـوله، أرسـله بالهـدى، ودين الحـق والنـور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط، وضل ضلالاً بعيداً.

وأوصيكم بتقوى الله، فإنَّه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ: أن يحضُّه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذَّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرى، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلَّا وجه الله، يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك: يودُّ لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله =

٢ _ حفظ أجراء متفرقة منها، وهو كثير، ومبثوث في كتب السنة والحديث.

٣ _ حفظ الخُطب على هيئة أحاديث مفرقة، وهذا أكثر الصور المنقولة.

ثالثاً: ما يتعلق بحال الخطبة، وحال الخطيب، مذكور وظاهرٌ، وأحكام ذلك معروفة.

رابعاً: في بيان السبب في عدم حفظ خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، كاملة كما هي على هيئة خُطب، فهذا ليس مقصوداً للشارع، والله أعلم.

ومن التوصيات: أوصي بجمع الأحاديث التي جاء أنَّها قيلت في خُطب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر رواياتها التي ليس فيها ذكر الخُطبة، حتَّى يتبيَّن للناس أنَّ عامَّة خُطبة إنَّما نقلت لنا على صورة أحاديث متفرِّقة، والله تعالى الموفق.

=

وأنجز وعده لا خُلْفَ لذلك، فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية، فإنَّه من يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإنَّ تقوى الله توقِّي مَقْته، وتوقِّي عقوبته، وتوقِّي سخطه، وإنَّ تقوى الله تبيِّض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة.

خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علَّمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، ﴾ ﴿هو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنَّه من أصلح ما بينه وبين الله، يكفه ما بينه وبين الناس، وذلك بأنَّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة _ دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٠٥ هـ) _ (٢/٥٢٣-٥٢٥) إسناد آخر. من حديث يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، قال: حدثني المغيرة بن عثمان بن محمد بن عثمان بن الأخنس بن شريق، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف... به.

وقال ابن كثير: هذه الطريق أيضا مرسلة إلَّا أنَّها مُقوِّية لما قبلها، وإن اختلفت الألفاظ. البداية والنهاية _ دار هجر، ط ١ (١٤١٨هـ _ ١٩٩٧م) _ (٤/ ٥٢٧).

المصادر والمراجع

١ _ القرآن الكريم
٢ _ الإبانة الكبرى لابن بطة، دار الراية: الرياض تحقيق: مجموعة من المحققين، عام (١٤١٥هـ).
٣ _ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي _ بيروت، الطبعة: الثانية (١٤٠٥هـ _ ١٩٨٥م).
٤ _ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ _ ١٩٩٤ م).
٥ _ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ للسخاوي، حقَّقه: فزانزر وزنثال، دار الكتب العلمية _ لبنان.
٦ _ إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية: بيروت _ الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ _ ١٩٩٩ م).
٧ _ إنارة الدُّجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وسلم، للشيخ: حسن محمد المشَّاط المالكي، دار المنهاج: جدة، الطبعة الثانية (١٤٢٦ هـ).
٨ _ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م).
٩ _ البداية والنهاية لابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (١٤١٨ هـ _ ١٩٩٧ م).
١٠ _ تأريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية _ بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧ هـ).
١١ _ التحبير في المعجم الكبير للسمعاني، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف _ بغداد، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ _ ١٩٧٥م).

١٢ _ تحرير ألفاظ التنبيه للنووي، الناشر: دار القلم _ دمشق، تحقيق: عبد الغني الدقر، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ).
١٣ _ التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العربي _ بيروت، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).
١٤ _ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصاغاني، حقَّقه مجموعة من عام: ١٩٧٠م إلى عام: ١٩٧٩م.
١٥ _ تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي _ بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).
١٦ _ جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي _ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٤ هـ _ ١٩٩٤ م).
١٧ _ جمهرة اللغة لأبي بكر ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين _ بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٧م).
١٨ _ حلية الفقهاء لابن فارس، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع _ بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ _ ١٩٨٣م).
١٩ _ دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية _ بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ).
٢٠ _ الرسالة للشافعي، بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر.
٢١ _ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض. طبعة جديدة ومنقحة (١٤١٥هـ).
٢٢ _ سنن أبي داود، دار الكتاب العربي _ بيروت.
٢٣ _ سنن ابن ماجه، طبعة: جمعية المكنز الإسلامي.
٢٤ _ سنن الترمذي، طبعة: جمعية المكنز الإسلامي.
٢٥ _ سنن النسائي، طبعة: جمعية المكنز الإسلامي.

٢٦ _ سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري, سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى (١٤١١هـ _ ١٩٩١م).
٢٧ _ السنن الكبير للبيهقي تحقيق الدكتور: عبدالمحسن بن عبدالله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).
٢٨ _ سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
٢٩ _ السيرة النبوية لابن كثير (٤/ ٤٣١). تحقيق: مصطفى عبد الواحد _ دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت: لبنان. عام النشر (١٣٩٥هـ _ ١٩٧٦م).
٣٠ _ السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة (١٤١٥هـ _ ١٩٩٤م).
٣١ _ شرح السنة للبغوي، المكتب الإسلامي: تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).
٣٣ _ صحيح البخاري، طبعة: جمعية المكنز الإسلامي.
٣٤ _ صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي _ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٥ _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر. اعتنى به: نظر محمد الفاريابي. دار طيبة الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ).
٣٦ _ فتح الباري شرح صحيح البخاري لا بن رجب الحنبلي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية _ المدينة النبوية، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦م).
٣٧ _ الفتن لنعيم بن حماد، مكتبة التوحيد: تحقيق سمير الزهيري، مكتبة التوحيد _ القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

٣٨ _ الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة (١٤١٧هـ).
٣٩ _ القاموس المحيط للفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوس، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت _ لبنان، الطبعة الثامنة (١٤٢٦هـ _ ٢٠٠٥م).
٤٠ _ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي. دار إحياء التراث العربي.
٤١ _ المسند للإمام أحمد مؤسسة الرسالة بإشراف الدكتور: عبدالله التركي. الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ).
٤٢ _ مسند البزار [البحر الزخَّار] للبزار، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة العلوم والحكم _ المدينة المنورة، الطبعة من (١٩٨٨م _ ٢٠٠٩م).
٤٣ _ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية _ بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ).
٤٤ _ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة. شركة القبلة – مؤسسة علوم القرآن طباعة دار قرطبة. الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ).
٤٥ _ معجم البلدان لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ _ ١٩٩٠م).
٤٦ _ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي _ بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥ هـ _ ١٩٨٥م).
٤٧ _ مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق: عبدالسلام هارون. دار الجيل. الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٤٨ _ المنتخب من معجم شيوخ السمعاني لأبي سعد السمعاني، تحقيق: د. موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب _ الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ _ ١٩٩٦م).

٤٩ _ نظم الدرر السنية الزكية [ألفية السيرة النبوية] للحافظ العراقي، دار المنهاج _ بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦ هـ).

٥٠ _ هدية العارفين أسماء المؤلفين لإسماعيل الباباني البغدادي، طُبع بعناية وكالة المعارف الجليلة، في مطبعتها البهية استانبول، (١٩٥١م). أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت _ لبنان.

٥١ _ الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث _ بيروت، عام النشر (١٤٢٠هـ _٢٠٠٠م).

المقالات:

١ _ مقال بعنوان [الكتب المؤلفة في الخطب النبوية] منشور على شبكة الإنترنت بتأريخ: ١٤٣٧/٦/٧ هـ الموافق: ٢٠١٦/٣/١٦م. الموقع: https: //www. alukah. net/culture/٠/١٠٠٣٦٦.

فهرس الموضوعات

ملخَّص البحث: - ٣١٣١
المقدمة..... ٣١٣٣
أهمية البحث:..... ٣١٣٤
أسباب البحث:..... ٣١٣٤
مشكلة البحث:..... ٣١٣٤
منهجية البحث..... ٣١٣٤
الدراسات السابقة: ٣١٣٥
خطة البحث ٣١٣٦
تمهيد..... ٣١٣٧
الفصل الأول: في تعريف الخُطبة، لغةً واصطلاحاً..... ٣١٤١
المطلب الأول: تعريف الخطبة في اللغة:..... ٣١٤١
المطلب الثاني: تعريف الخطبة في الاصطلاح: ٣١٤٢
الفصل الثاني: في ذكر خطأ من ذكر أنَّ عدد الخطب يبلغ الخمسمئة وعشرين خُطبة، وذكر الأسباب الموجبة قِلَّة العدد..... ٣١٤٣
الفصل الثالث..... ٣١٥٢
الفصل الرابع: في ذكر الحكمة من عدم الأمر بكتابة الخطب، وحفظها كاملة بنصها. ٣١٦٦
الخاتمة: ٣١٨٠
المصادر والمراجع ٣١٨٢